

نيجاتيف

## ما أتعسنا حين تتحطم أحلامنا على صخرة الواقع

شكر خاص ..  
إلى الشاعر الأستاذ عبد الكريم عبد الحميد على توجيهاته ونصائحه التي أفادتني كثيراً ، وعلى قيامه بالتنصيح اللغوي للرواية .  
شكراً جزيلاً لأستاذي العزيز .

يمسك بيده كرة بلاستيكية ضخمة، بألوان أربعة من الأحمر والأزرق والأصفر والأخضر، يلقيها بيديه الصغيرتين تجاه الحائط ، ويصرخ في سعادة حين ترتطم به وتسقط على الأرض عائدةً إليه، يصفق في حرارة ويضحك في براءة مشجعاً نفسه قائلاً "جوووول" .

مهتد الطفل الصغير ذو الأربعة أعوام، أشقر الشعر، أزرق العينين، أبيض البشرة.

تشير الساعة المعلقة على الحائط إلى العاشرة إلا خمس دقائق، يدق رنين هاتف محمول موضوع على منضدة الطعام، تخرج حنان مسرعةً من غرفة المطبخ إلى الصالة لترد على الهاتف، حنان في أواخر العشرينيات من عمرها، بيضاء البشرة ، ممتلئة القوام، قصيرة القامة، ذات شعر أشقر وعينين خضراوين. تلتقط الهاتف من على منضدة الطعام، تنظر في شاشة الهاتف فيمتعض وجهها وتتردد قليلاً ثم تضغط على زر رفض المكالمة، لازالت تمسك بهاتفها المحمول في يدها ويبدو عليها التوتر ، شردت للحظات قبل أن يعاود الهاتف رنينه، تنظر إلى الشاشة التي تومض باسم ورقم الشخص ذاته، قررت أن ترد هذه المرة، لمست سطح الشاشة ممررةً اصبعها تجاه اليسار ، ردت في عصبية وبصوت خافت ..

- ألو ، أيوهمش قولنا بلاش اتصال في وقت زي ده؟! انت عارف ان دة ميعاد رجوع جوزي من الشغل، بتقول إيه؟ عايز تشوفني؟ دلوقتي؟ لأ طبعاً مستحيل، انت بتهزّر أكيد، انت عارف الساعة كام دلوقتي؟ الساعة داخله على عشره بالليل وجوزي زمانه جاي.

وبينما تتحدث في الهاتف دق جرس باب شقتها وسمعت صوت زوجها يقول ..

- افتح يامهند أنا بابا
- اضطربت فور سماع صوت زوجها وأنها المكالمة بسرعة بعد أن قالت كلمتين فقط ..
- أهو جه، سلام سلام.
- بابا جه، بابا جه ..

صاح مهند بابتهاج ، بينما حاولت هي ضبط توترها، انتشلت سلسلة المفاتيح المعلقة خلف الباب، وفتحت الباب بابتسامة متوترة.

- مساء الخير يا حنان، إزيك
- قالها مجدي زوج حنان (شاب في منتصف الثلاثينيات تقريباً، أسمر البشرة، نحيف القد، أشعث الشعر، ومع ذلك فهو يملك ابتسامة صافية تمنحه جاذبية خاصة يشبهه في جاذبيته وملامحه المصرية الممثل أحمد زكي).

قَبَلْها قَبْلَاتين على وجنتيها .

- مساء النور يا حبيبي، حمد الله ع السلامة
- قالتها بصوت مرتعش بينما تتناول منه الأكياس البلاستيكية المملوءة بالسلع الغذائية والتي يحتاجها البيت، هكذا اعتاد مجدي أن يفعل كل ليلة بعد انتهاء عمله وأثناء عودته لبيته.
- وضعت الأكياس في الثلاجة التي بالصالة ، ثم دخلت للمطبخ لتحضر لزوجها طعام العشاء، أما مهند فتأبط ساق أبيه ولازال يردد هتافه ..
- بابا جه، بابا جه
- حملة أبوه على ذراعه وقبّله قائلاً..
- حبيب بابا مهند، فين البوسه الحلوه بتاعة بابا؟
- احتضن مهند أباه وقبّله في إحدى وجنتيه، أغلق مجدي باب الشقة بقدمه حتى لا يفلت يديه من عنق ابنه .
- انزل عن بابا يامهند بابا راجع تعبان من الشغل
- قالتها حنان وهي تضع أطباق الطعام على المائدة، أما مجدي فقد أجلس مهند على مقعد السفارة وجلس هو بالمقعد المجاور له .
- مش هاتغسل إيديك يامجدي؟ هاتاكل كده على طول؟!!
- والله ما قادر أقوم يا حنان ، أنا ما صدقت قعدت، رجليًا مش شايلاني من التعب .
- معلش يا حبيبي، قوم اغسل إيديك على ما اجيب انا باقي الأكل .
- نهض مجدي بصعوبة، دخل الحمام ليغتسل، بينما دخلت حنان المطبخ لتحضر باقي الطعام ، اعتادت هي الجلوس في منتصف المائدة قبالة مجدي ومهند ، رن هاتفها نظرت في شاشته ثم ضغطت زر إلغاء المكالمة، ثم أغلقت الهاتف نهائياً هذه المرة .
- إيه؟ مش هاتردى؟
- لأ مش مهم، دة أبويا، وانت عارفه لما بيفتح في الكلام مش بيفصل، هابقي اكلمه بعدين.
- تسود حالة من الصمت أثناء تناولهم الطعام يقطعه صوت مهند..
- أكلني يا بابا
- كل لوحدك يامهند، حبيبي إحنا كبرنا وبقينا بنعرف نأكل نفسنا مش كدة ولا إيه؟ ..
- ردت حنان ، ثم عقب مجدي على رد حنان ..
- سيبيه ياماما، مهند دة حبيبي، وانا ما قدرش ازعله ..
- ثم أمسك مجدي ملعقة وغرسها في طبق مهند المليء بالأرز، وضع بها القليل من حبات الأرز وقربها من فم مهند مداعباً ..
- هم يا جميل

- أهو دلحك فيه ده هو اللي بيخليني ماعرفش أكلمه ، وإن زعلته بيهددني بيك ويقول لي هاقول لبايا .

رد مجدي ضاحكاً ..

- ياستي سيبيه يتدلح احنا حيلتنا غيره

بعد حوالي عشرين دقيقة انتهى الجميع من تناول الطعام، جمعت حنان الطعام المتبقي ووضعتها في علب الثلجة ثم قامت بتنظيف الأطباق، سبقها مجدي إلى غرفة النوم بعد أن غسل يديه، قامت حنان بغسل يدي وفم ابنها ثم أدخلته غرفة نومه وأنامته على سريرها، اتجهت لغرفة نومها فوجت مجدي قد بدّل ثيابه بملابس النوم (بيجاما) وغط في نوم عميق .

- مجدي، مجدي انت لحقت نمت؟

لا يرد مجدي فقد غلبه النعاس واستسلم للنوم ، لكزته حنان برفق في ذراعه..

- مجدي قوم عايزه اتكلم معاك شوية

يرد أخيراً مجدي بصوته الناعس :

- معلش ياحنان ، مش قادر أقوم، هاموت من النعس، أجلي الكلام للصبح

- الصبح؟! وانا بلحق اتكلم معاك الصبح؟ مانت بتقوم على ميعاد شغلك يادوب تلحق تقطر بسرعه وتنزل جري على شغلك ! أنا خلاص تعبت ، دي مابقتش عيشه دي

يعتدل مجدي في جلسته وعيناه نصف مغمضتين .

- نعم يا حبيبتي عايزه تقولي إيه؟

- عايزه اقولك انك واحشني، واحشني قوي يا حبيبتي

قالتها حنان بينما كانت تدخل يدها من فتحة سترة البيجاما وتمرر يدها على صدره، مداعبةً شعره الكثيف محاولةً استثارته.

- انتي كمان وحشاني يا حبيبتي ، بس سامحيني أنا فعلاً تعبان ، سيبيني أنام دلوقتي والصبح رباح.

ثم ارتدى بجسده على السرير في استسلام تام للنوم ، فانتهرته بغضب ..

- أنا زهقت بقى ومابقتش قادرة استحمل ، لا خروج ولا فسح ولا حتى قعاد معايا ، دانا مابقتش اشوفك إلا على الأكل بس، حرام عليك يامجدي، أنا محتاجالك ونفسي أقعد معاك قعده حلوه زي زمان، طب فاكرا يا حبيبتي أيام خطوبتنا ؟

أناها صوت شخير مجدي من عمق الأحلام ليبدد حلمها بليلة سعيدة كانت تمنّي نفسها بها بين أحضانهه !!

الأصعب من حصولنا على ما نرغبه، هو قدرتنا في الحفاظ على وجوده

على أنغام موسيقى أغنية "أشهد" لكازم الساهر، تتمايل يُمنّةً ويُسرّةً وشفاتها المثيرتان تتحركان مع كلمات الأغنية "أشهدُ ألا امرأةً أتقنت اللُعبة إلا أنتِ" وشعرها البني الطويل يغطي كامل ظهرها "أيتها الشفافةُ اللماحةُ العادية الجميلة" تستدير بخصرها الرشيق "أشهدُ ألا امرأةً على محيط خصرها تجتمع العصور" تتطاير بعض خصلات شعرها الناعم على وجهها وعينيها فتعيدها إلى وراء أذنيها بتغنج غير مصطنع. "أيتها الشهية البهية دائمة الطفولة".

بالفعل يسرا امرأة شهية، رشيقة القوام، نحيلة الخصر، على قدر كبير من الجمال، في منتصف العشرينيات من عمرها .

وكانت تلك عاداتها القديمة كلما شعرت بمشاعر سلبية كالاكتئاب أو الحزن أو الوحدة أو الملل ، الموسيقى والرقص هما العلاج الوحيد لروحها إذا مرضت، والترياق الشافي لقلبها إذا جُرح والذي فور تجرعها إياه تستعيد عافيتها ويُززع منها الألم، إن الروح التي فردت جناحيها وحلقت بهما على أنغام الموسيقى فوق فُبح هذا العالم ، لن تتخلى عن إحساسها بجمال الطيران ، ولن تهبط مرة أخرى إلى ذاك القاع البغيض .

كانت شخصية يسرا الحاملة الرومانسية هي سبب تعاستها، تزوجت في سن صغيرة بعد انتهاء دراستها الجامعية مباشرةً بعد قصة حب جميلة لزميلها أحمد، دامت عامين كاملين، حلمت خلالهما بعش الزوجية الذي سيجمعها به ، كانت تعد الأيام والليالي كي يأتي ذاك اليوم المنتظر.

في الجامعة كانا لا يفترقان، في المدرج، في كافيتيريا الجامعة، حتى في الشارع أثناء إيصال أحمد ليسرا، كانا يتلذعان في سيرهما حتى يطبلا وقت تواجدهما مع بعضهما قدر الإمكان، كل زميلاتها في سكن الطالبات كن يعرفن حكايتهما وقصة عشقهما الملتبها، حتى أن الفتيات كن يخشين الاقتراب من أحمد والمزح معه مثلما كن يفعلن في السابق خشية من غضب يسرا التي كانت تغار عليه غيرة مُرة، وللحق هو يستحق الغيرة، شاب وسيم ، جذاب، خمري البشرة وشعره أسود ناعم كثيف يشبه في نعومته ولونه وكثافته شعر الرجال الهنود ، لذلك كان دائم التباهي به متعمداً رفعه إلى الورا متشبهاً بنجوم بوليوود ، بالإضافة إلى عينيهِ العسليتين وخفة ظله التي كانت تجعل الفتيات يتسابقن في لفت انتباهه والتودد إليه .

في الواقع لم تكن وسامة احمد فقط ما يميزه عن غيره من شباب جيله لكن ايضاً طموحه وذكاؤه الحاد جعلاه يحظى بحب أساتذته في الجامعة للدرجة التي جعلتهم يصفونه بالعقري، وكانوا يتنبؤون له بمستقبل عملي باهر .

كان في كل مرحلة من مراحل دراسته الجامعية يحصل على تقدير امتياز إلا في المرحتين النهائيتين ، فبسبب انشغاله بحبه ليسرا وتغيبه الكثير عن محاضراته للتسكع معها في الشوارع وعلى المقاهي القريبة من مبنى كليتها - كلية الهندسة - جعل مستواه ينخفض ويحصل فقط على تقدير جيد، ما أضع منه فرصة العمل كمعيد في الجامعة.

فور تخرجه من الجامعة ونظراً لأنه من أسرة ميسورة الحال استطاع أن يتزوج من محبوبته في الوقت الذي ينحت زملاؤه الخريجون في نفس دفعته في الصخر كي يكونوا مستقبليهم، ومنهم من لازال يبحث عن عمل يليق بشهادته الجامعية .

استبدل أحمد حُلْمه القديم الذي فشل في تحقيقه بان يصبح معيداً بكلية الهندسة بحلم آخر جديد وهو السفر خارج مصر والعمل في إحدى دول الخليج في تخصصه في قسم المواد البترولية ضارباً بذلك رغبة زوجته وتوسلاتها له في محاولة منها لإبقائه بجوارها عرض الحائط، وخاصةً وأن المرتب الذي علم أنه سيحصل عليه مرتباً مغرٍ لشاب مثله في مستقبل حياته العملية، نسى أنه أيضاً في مستقبل حياته الزوجية وأن القرار أصبح قرارهما معا وليس قراراً فردياً يستحوذ عليه بمفرده !

استطاع أن يقنعهما أو بالأحرى هي من استسلمت لرغبته المُلحة في السفر بعد أن وعدها بأنه سيسافر لمدة عام واحد فقط يجمع فيه مبلغاً كبيراً من المال يؤمن لهما مستقبلهما ثم يعود ليستقر معها أو ليصطحبها معه إذا أعجبه الحال هناك، في النهاية سافر وتركها وحيدة.

كانت ليسرا هواية غريبة، فهي لم تكن تهوى الرسم مثلاً أو العزف على آلة موسيقية معينة، أو حتى الغناء أو التمثيل، أو أي من تلك الهوايات المتعارف عليها عند كل البشر، كانت هوايتها هي الاحتفاظ بمجموعة أشرطة الأفلام القديمة المعروفة عند مصوري الفوتوغرافيا المحترفين باسم "نيجاتيف" والنيجاتيف هو عبارة عن شريط بني طويل مكون من 36 صورة صغيرة ومتراصة بطول الشريط معكوسة الألوان، فمثلاً يظهر شعر الأشخاص داخل الكادر باللون الابيض وجوههم باللون الأسود، واللون الأحمر يظهر باللون الأزرق واللون الأزرق يظهر باللون الأحمر، وهكذا، كانت تستمتع بفكرة تفحص شريط النيجاتيف ومحاولة تخمين الالوان الحقيقية للأشخاص وللأشياء بداخله.

أصبح النيجاتيف من الأشياء القديمة التي انقرضت واختفت بظهور الكاميرات الرقمية "الديجيتال" منذ ما يقارب العشر سنوات .

تحب يسرا فن التصوير الفوتوغرافي بالأساس، والسبب في ذلك الولع بالتصوير هو نشأتها وسط عائلة تمتهن مهنة التصوير الفوتوغرافي إذا ما اعتبرناه مجرد مهنة والذي كانت تعتبره يسرا فناً راقياً من اهم الفنون واحبها إلى قلبها .

كان ابوها يعمل في تلك المهنة من عشرات السنين لكنها لا تتذكره جيداً لانه مات وهي طفلة صغيرة، لم تكن قد تجاوزت الثلاثة أعوام حينها، فتولى عمها تربيتها ورعايتها والذي كان أيضاً يعمل كمصور فوتوغرافي وكان لديه استوديو للتصوير يشاركه مع والدها قبل موته ، حظيت يسرا بنصيب الأسد في حب عمها لها أكثر من اخويها الولدين الأكبر منها واحد بعامين والثاني بأربعة أعوام .

كانت يسرا طفلة مرحة، ودودة ، خفيفة الظل ، جميلة الملامح ، وذكية ، كانت لصيفة بعمها الذي استطاع أن يحتويها ويعوضها عن حنان أبيها الذي فقدته مبكراً، كان دائماً يصطحبها معه إلى استوديو التصوير الخاص به ، لاحظ شغفها المبكر بفن التصوير ، كانت تسأله على كل كبيرة وصغيرة تخص هذا العالم الساحر بالنسبة لها ، رويداً رويداً بدأت تتعلم منه أساسيات التصوير وقواعده، حتى إنها عندما وصلت إلى سن السادسة عشرة كان يعتمد عليها اعتماداً كاملاً بل وكان يتركها تدير هي العمل في غيابه، سحرتها تلك الكاميرا التي كانت بالنسبة لها صندوق الدنيا الذي تنظر من خلال عدسته على الدنيا وتتمتع بجمالها .

عُرفت عند زبائنه ب "بنت المصوراتي" لأنها كانت تنادي عمها "بابا" وهو كان يقدمها للناس على أنها ابنته، ولم يعلم أحد أنه عمها إلا القليل جداً من الناس.

أجمل ما في الحب .. المباغثة

علت أصوات الزغاريد وأصوات دق الدفوف مع دخول العروسين ماري ومينا من باب الكنيسة مروراً بالممر الطويل المؤدي إلى مذبح كنيسة السيدة العذراء مريم ، وقف العروسان متجاورين "وقفت الملكة عن يمين الملك" حقاً كانت تبدو كملكة في فستانها الوردى الأنيق ذو الموديل الطويل المنفوش من أسفل والضيق عند الخصر ليكشف الي عن قوام ممشوق، ومما زاد رونقها تسريحتها الناعمة التي عمدت فيها على رفع نصف شعرها لأعلى مع تععيد نصفه الآخر وتركه منسدلاً على كتفيها ومكياجها الذي اتخذ من هدوء ملامحها البسيطة بساطته ونعومته، وقف مينا بجوارها ينظر إليها في حب واعتزاز كمن امتلك مفتاح الجنة او حورية من حورياتها ، كان هو أيضاً أنيقاً فوق أناقته المعتادة، بذلته الكحلية اللون وقميصه ناصع البياض ورابطة عنقه التي هي بلون فستان عروسه جعلته يستحق أن ينال شرف لقب الملك، كان مينا أكثر وسامة من ماري، فماري كان جمالها عادياً هادئاً أما مينا فكان يشبه في وسامته نجوم السينما العالمية أو يشبه موديل من موديلات الإعلانات والأغاني الشبابية، ومع ذلك أحبها وتمنى لو امتلك هذا الجمال الهاديء .

حين سأل الكاهن ماري ..

- هل تقبلين مينا خطيباً لك؟

أجابت ببعض الخجل وكثير من السعادة ..

- نعم

وحين سأل الكاهن مينا ذات السؤال أجاب مينا إجابة غير اعتيادية ، وابتسم وهو ينظر في عيني ماري مباشرة وقال ..

- نعم أقبّل، بالتأكيد أقبّل، ده يوم المنى بالنسبة لي

ضحك الجميع للاضافة الجميلة التي أضافها مينا، إنه مينا المختلف الغير اعتيادي وهذا سر انجذاب ماري اليه ، كان تعارفهما غريباً ومختلفاً أيضاً حيث أن ماري كانت تعمل مدربة لليوجا في أحد المراكز الرياضية في حي مصر الجديدة وعندما كانت ذاهبة إلى عملها ذات يوم ، وكانت تسير بمحاذاة الطريق ولكنها لا تسير على الرصيف وكانت مشيتها سريعة أقرب إلى الركض منه على السير، كنوع من التريض وكات تضع سماعات الأذن وتستمع لموسيقى حماسية لم تسمع بسببها صوت بوق السيارة التي كانت تسير خلفها والذي تكرر اكثر من مرة عساها تسمع وتستجيب ولكن دون جدوى ، لم تع ذلك حتى فوجئت بشيء يخبطها خبطة خفيفة من الخلف افقدتها توازنها وسقطت على إثرها أرضاً، التفتت لتجدها سيارة بي ام دبليو سوداء اللون ينزل منها شخص يقترب منها في اعتذار ..

- أنا اسف يامودمازيل ، بس انا عمال أكلكس لحضرتك وانتي مش سامعاني

ثم مد يده لها ليساعدها على النهوض ، وبينما كانت تنهض وتنفض ملابسها رفعت عينيها فرأت ما أربكها ، رأت شاباً وسيماً طويلاً القامة ذا عيني بنيتين ، يرتدي قميصاً مفتوح الزرير العلويين يكشف عن صدر

كتفين عريضين كما أن القميص ذو أكمام قصيرة يكشف عن ساعدين مفتولي العضلات ، أخلتها نظرتة  
الواثقة فتحاشت النظر إلى عينيه قائلةً ..

- لا أبداً ما حصلش حاجه ، أنا اللي غلطانة ماكانش المفروض أمشي وأنا حاطة سماعات الودان  
وخاصةً ان النهارده زحمه والعربيات كتير في الشارع
- طيب انتي كويسه؟ تحبي أوصلك لأي مكان بالعربية ؟
- لا لا مفيش داعي أنا كويسه الحمدلله، بسيط وبعدين انا تقريبا وصلت ، نا شغلي في البرج اللي  
هناك ده

وأشارت بسبابتها إلى مبنى سكني طويل باللون الأبيض، ثم أردفت ..

- اتفضل حضرتك اركب عربيتك وكمل طريقك
- لأ انا مش هاقدر امشي إلا لما اطمئن عليكى الأول ، اتفضلي وانا هافضل واقف لحد ما اتأكد إنك  
بتمشي على رجليكي كويس

تحركت ماري أمامه متجهة ناحية المبنى الذي اشارت إليه وهي تعرج قليلاً بشكل غير ملحوظ وحاولت أن  
تبدو مشيتها طبيعية إلى أن وصلت إلى باب العمارة وهناك توقفت واستدارت لتتنظر إلى الشاب ولوحت له  
بيدها وابتسامة خفيفة تعلو وجهها ، ابتسم لها الشاب ولوح لها بيده بدوره ولازال يلوح بيده حتى بعد أن  
اختفت ماري عن ناظريه ، لم يفق من شروده إلا على صوت أبواق السيارات من خلفه تستعجله بالتحرك  
بسيارته، فعاد إلى سيارته وركبها وتحرك بها ولازال عينيها معلقتان بالمبنى الطويل الابيض .

**في احتياجنا للحب قد نرتكب بعض حماقات**

- إنت اتجننت يا شريف؟ بتتصل بيا في ميعاد رجوع جوزي من الشغل؟ إنت شكلك مش هاتجيبها لبر.

قالتها حنان في انفعال وهي تضع حقيبتها على المنضدة الصغيرة بينما تجلس على كنبه الأنتريه في شقة شريف، الشاب الوسيم الذي يشرف على الأربيعينيات، وبرغم ذلك حين تراه لا يمكنك أن تعطيه أكثر من عشرين إلى خمسة وعشرين عاماً على الأكثر ، فهو شديد الاعتناء بأناقته كما أن حرصه على ممارسة الرياضة بانتظام جعل جسمه مشدوداً وجذاباً إلى حد كبير .

- معلش يا حبيبتني غصب عني هاتجنن عليكي من امبارح ، مادريتش بنفسي غير وانا بتتصل بيكي .  
- يعني ما كنتش قادر تصبر لحد ما أجيلك النهارده ؟  
- لأ ما كنتش قادر أصبر

قال جملته الاخيرة وقد اقترب منها ، وخلع عنها حجابها ووضع خديها بين كفيه وقبلها في شفيتها قبلة وفي وجنتيها قبلتين

- وانت كمان يا حبيبي واحشني بس احنا لازم نكون حريصين أكثر من كده ، لو مجدي جوزي حسّ بحاجه هاتبقى مصيبه .

لازال يقبلها وذراعه يلتف حول خصرها وأنفاسه الحارة تلهب وجهها وشفتيه المشتعلتين تضرمان النار في شفيتها وجسدها ..

- إيه طيب؟ احنا هانقضي القعهه في الكلام عن سي زفت بتاعك ؟

انتفضت حنان فجأة وكان عقرباً لدغها .

- لو سمحت يا شريف ماتقولش عليه زفت، ده مهما كان جوزي وأبو إبنني ، ومش معنى إني معاك دلوقتي يبقى هاسمحك انك تغلط فيه  
- بس بس بس ، حصل أيه لده كله، وبعدين لما انتي بتحبيه وزعلانه عليه اوي كده جايلي ليه ؟  
- كده برضو يا شريف؟ طيب أنا ماشية

تناولت حقيبتها وحجاب رأسها ونهضت تستعد للانصراف، فاستوقفها شريف معتذراً

- تمشي؟ تمشي ازاى وتسيبيني ؟ أهون عليكي برضو ؟ دانا ماصدقت انك جيتي، عموماً ياسّتي أنا

أسف حقك عليا مش هاغلط فيه تاني بس انا غصب عني يانونو باغير عليكي موت، بمجرد ما بسمع سيرته باحس ان نار الغيرة بتاكلني

لم ترد عليه ولا زالت تهز قدمها في حركة انفعالية وقد أشاحت بوجهها عنه .

- خلاص بقى ماتبقيش بايخه ، بحبك

أمسك طرف ذقنها بيده وأدار وجهها ناحيته ، واقترب منها ثانيةً وعاد يقبلها ، فهدأت من انفعالها وتركت شفيتها لشفتيه وجسدها ليديه، فهمس لها ..

- أما أنا محضرك مفاجأه هايله النهارده

- مفاجأة إيه يا حبيبي ؟

- ثانيه واحده

تركها واتجه ناحية جهاز مشغل الموسيقى (الأوديو) ووضع فلاشة وضغط زر التشغيل فانطلقت منه موسيقى (الفالس)

- إيه ده يا شريف؟

- عمرك رقصتي تانجو قبل كده ؟

- لأ

- تحبي تتعلميه

- إحب قوي طبعاً

- طيب انا بقى هاعلمهولك ، هاتي إيدك اليمين

ناولته يدها اليمنى ، فأمسكها بيده اليسرى ، ثم وضع يدها اليسرى على كتفه وأحاط خصرها بيده اليمنى

- اعملي زي ما هاقول لك بالظبط ، أولاً لازم ودانك تبقى مع الموسيقى ، وإيدك اليمين تكون

مفروده على آخرها ، أيوه كده بالظبط، وراسك مرفوعه ل فوق ، ارجعي خطوه لورا برجلك

اليمين وبعدها خطوه برجلك الشمال بحيث رجليكي الاتنين يبقوا جنب بعض، أيوه برافو عليكي ،

وبعدين ارجعي خطوتين تاني برجلك اليمين ورجلك الشمال ، صح كده ، واحد ، اتنين ، واحد

اتنين تلاته ، هايله ، وبعدين ميلي بضمرك لورا على الآخر ، ماتخافيش أنا ساند ضمرك بدراعي

كادت تسقط فضحك شريف قائلاً ..

- مش قولتلك ماتخافيش أنا ساندك بدراعي ، يلاً نعمل الخطوه دي تاني عاوزك تتقي في نفسك

أكثر من كدة كل ما كنتي واثقه في نفسك كل ما كان أدائك أحسن، يلا ياست الكل وريني ، أعادت

ميلها للخلف بظهرها لكن بأكثر ثقة هذه المرة ففعلتها ولم تسقط أيوه كد ياقلبي شاطره شوفتي

بقى لما وثقتي في نفسك عملتها صح ازاي ؟ ودلوقتي بقى لفي لفه كامله وانا ماسك إيدك اليمين

بايدي اليمين ، الله، هايله يانونو، يلاً بقى نبتدي من الأول .

برغم زيادة وزنها إلا أن حنان شعرت في تلك اللحظة بأنها أخف من الريشة ، تحلق كالطائر الحر في الفضاء الواسع ، أخذتها رقصة التانجو إلى بعيد ، بعيد جداً أبعد ما يكون عن حارتها وحيها الشعبي المليء ضجيجاً وصخباً لطالما كرهته وحلمت بمثل هذا العالم الذي تعيش فيه الآن ولو للحظات قليلة ، نسيت بيتها في حي الحسين وزوجها وابنها بل ونسيت نفسها، لم تفق من شرودها إلا عند توقف موسيقى الفالس .

- تعرف أنا نفسي في إيهياشريف؟
- نفسك في إيه ياقلب شريف ، أمري أوامرك تطاع

وانحنى لها كعبدٍ ينتظر أوامر ملكته

- نفسي أرقص "سلو"
- بس كد؟ حالياً

تركها واقفة على حطام عالمها القديم الذي استبدلته للتو بعالمها الجديد المبهر واتجه ناحية جهاز تشغيل الأغاني وضبط مؤشره على موسيقى "مونامور" وعاد إليها وكأنه يحمل بين كفيه وروداً تنتظر أن يكللها بها كما يليق ببنات الذوات .

- بصي بقي ياستي ، الرقص ده مختلف عن التانجو ، دي رقصه ناعمه زي الموسيقى اللي انتي سامعاها دي ، سيبيلي نفسك خالص وأنا هاوريكي ازاي تستمتعي بيها .

اسندت رأسها على صدره تستأنس بدقات قلبه في أذنيها ، كطفل أتعبه اللعب فارتدى في حضن أمه تاركاً رأسه على صدرها طالباً للراحة والأمان ، همس لها شريف بأرق عبارات الحب والشوق لكنها لم ترد كلماته بكلمات أرق منها كما اعتادت بل تركت أذنيها للموسيقى وروحها هائمة في هذا العالم الذي يروق لها ، حتى توقف الموسيقى لم يفصلها عن هيامها وشرودها وظلت تتحرك بنعومة مغمضة العينين لولا أن شريف طبع قبلة علي وجنتها... فأفاقت .

- الموسيقى خلصت يا حبيبيتي
- معقوله! بسرعه كده؟
- شكلك رحتي لدنيا تانية خالص ، للدرجة دي استمتعتي بالرقصه ؟
- من زمان وانا نفسي أرقص سلو ، انت تجنن فعلاً يا شريف ، شكراً يا حبيبي على كل اللي بتعمله عشاني .

سحبها شريف من يدها وأجلسها على ساقه فور جلوسه على مقعد الأنتريه

- يا حبيبيتي أنا وعدتك من يوم ما عرفتك إني ها عوضك عن كل اللي اتحرمتي منه مش هاخلي في نفسك حاجه
- أنا فعلاً من يوم ما عرفتك وانا نفسي ما بتروحش لحاجه ، انت كل مرة بتفاجئني بحاجه أحلى من اللي قبلها
- ولسه يا عمري طول ما حنا مع بعض هابهلنا مفاجآت

- تعرف أكثر حاجه بحبها فيك إيه يا شريف؟
- إيه يا قلب شريف؟
- إنك مختلف ، مش شبه حد ، بتعرف تبسط نفسك وتبسط الست اللي معاك حتى لو بحاجات بسيطـ
- وانت تعرفي أكثر حاجة بحبها فيكي إيه؟
- إيه؟
- الميكس اللذيذ اللي في شخصيتك
- ازاي يعني ؟
- يعني جامعه ما بين حاجتين عكس بعض تماماً ، جمالك الأوربي يعني البشرة البيضاء والعيون الخضرا والشعر الأصفر ، وفي نفس الوقت البنت البلدي اللي من حي شعبي في طريقة كلامك وحركاتك وحتى جدعتك ، حاجه كده نادره ما قابلتهاش قبل كده.
- يعني انا عاجباك فعلاً يا حبيبي؟
- عاجباني بس؟ دانتى مجنناني ، إنتي تعجبي الباشا ياباشا انت ياباشا.

ضحكت حنان ضحكة رقيقة تناسب الموقف

- مش تقومي بقى تعليملي الحاجه اللي بحبها زي مانا عملتك الحاجه اللي بتحبيها ؟
- تقصد أرقصلك بلدي؟
- وهو في أحلى من البلدي يابلدي ياطعم انت
- بعد الرقصتين الهاديين دول عايزني أرقصلك بلدي ؟ وده ينفع برضو؟
- ينفع ونص طبعاً، إنتي عارفهاني بأحب الرقص البلدي وانت بصراحه تجنني وانت بترقصيلي بلدي ، يلا قومي وانا هاشغل لك الاغنية اللي بتحبي ترقصي عليها.

ثم قام بربط رابطة عنقه حول وسطها فغمزت له بإحدى عينيها.

- ماشي

أدار محرك مشغل الموسيقى على أغنية "ده عينه منّي وانا عيني منك انت "

تعرف حنان أنها امرأة فاتنة ومثيرة، ترى ذلك في عيون رجال منطقتها الذين فور رؤيتها تمر بالشارع تكاد تخرج عيونهم من بين جفونها ، تشعر بتلك العيون تخترق جسدها الفاتن وتسمع تأوهاتهم تتخلل مسام جلدها الناعم فتبالغ في مشيتها المختالة لتزيدهم إثارة وفتنة لتسمع منهم ما يشبع أنوثتها الطاغية، وترى في عيونهم شهوة تحني الفوز بها .

ولم يكن كل ذلك بجديد فهي منذ دخولها سن العاشرة وبعد أن بدأت علامات الأنوثة تبرز في جسدها الغض ، بدأت أنظار الرجال تحاصرها وكأن الجميع في سباق من يلتهمها قبل الآخر ويفوز بها دون غيره، تمنى الجميع لو مّد يده وقطف ثمارها التي نضجت فجأة بعد أن كانت طفلة تلعب مع أبناء وبنات الحارة كباقي الأطفال، فاضطر والدها أن يلبسها الحجاب كباقي الفتيات في منطقتهم الشعبية محاولة منه كي يخفي بعض

جمالها خوفاً عليها ، فأبوها هو المسؤول عنها وعن تربيته منذ موت أمها بعد ولادتها بعام واحد ولم تترك له غيرها ابنة وحيدة وهماً ثقيلاً ، رفض أبوها الزواج بامرأة أخرى بعد وفاة زوجته الأولى وأم ابنته مراعاةً لمشاعر حنان ، ولأنه بسيط الحال لا يملك تكلفة الزواج مرة أخرى ، فضل أن يقتطع من دخله البسيط مبلغاً صغيراً كل شهر ليحتفظ به حتى تكبر ابنته وتصل إلى سن الزواج فيتمكن من تجهيزها وتستيرها .

بعد إتمام دراستها وحصولها على مؤهل متوسط (دبلوم فني) لم يوافق أبوها في البداية على عملها كبائعة في إحدى المكتبات خوفاً عليها من نظرات الرجال ومضايقتهم لها ، لكنه اضطر للموافقة أخيراً نظراً لضيق العيش ولضعف راتبه كعامل بسيط في محطة السكة الحديد ، والذي لم يكن كافياً لسد احتياجاتها وطلباتها التي لا تنتهي، وحتى يتسنى لها أن تساعد في تجهيز نفسها كعروس على أعتاب الزواج وخاصةً أن طالبي الزواج بها كُثُر .

منذ أن وعت حنان على جمالها الذي رآته في عيون الرجال اتخذت جمالها كراس مالها وأيقنت أن هذا الجمال هو الذي سيتيح لها فرصة الزواج من فارس يأتيها على حسان أبيض ويطير بها بعيداً عن تلك المنطقة الشعبية التي تقطنها وعن كل المناطق التي تشبهها لتدوس بقدميها على الفقر الذي عانت منه طيلة سنوات عمرها الثمانية عشر في بيت أبيها ، انتظرت شهوراً والشهور أصبحت سنين حتى وصلت إلى عامين وهي تعمل بالمكتبة تنتظر هذا الفارس الذي لم يأتيها قط، فكل من تقدم لخطبتها من شباب منطقتها الذين لا يقلون فقراً عن فقرها بل قد يزيد ، إلى أن أتاهما مجدي مدرس اللغة العربية الذي يعمل في المدرسة الإعدادية للبنين والتي تبعد عن شارعها بمسافة ليست قليلة ، بدأ مجدي يتردد على المكتبة لشراء بعض الكتب والملخصات الخارجية لاستخدامها في الدروس الخصوصية التي يعطيها لبعض التلاميذ، لفت انتباه مجدي جمال حنان اللافت ، فزاد ترده على المكتبة وبدأ في اختراع الحجج كأسباب مقنعة لتواجهه بالمكتبة ، مرة لشراء كراسات وملازم، ومرة لتصوير بعض الأوراق على ماكينة تصوير المستندات بالمكتبة، ومرة لشراء بعض الأقلام .. وهكذا

لاحظت حنان نظراته الخجلة لها بين الفينة والأخرى ، كان يختلس النظر إلى عينيها الخضراوين وخصلة شعرها الذهبية المتطايرة عمداً من تحت حجابها المعقود على شعرها بطريقة مثيرة أكثر منها احتشاماً ، ولفت انتباهها مجدي برغم سمار بشرته وشعره الأشعث إلا أنه يشبه أحمد زكي في جاذبيته وخفة ظله وحتى في ملامحه إلى حد كبير .

أصبحت نظراته لها أكثر جرأة حين بادلته هي نظرات الإعجاب ما شجعه على طلب يدها للزواج ، لم تتفاجأ حنان بطلبه بل كانت تنتظره ، فبرغم أنه لم يكن هو فارس أحلامها المنتظر إلا أنه على الأقل أفضل المتقدمين لها ، وعلى الرغم من اعتراض أم مجدي على هذه الزيجة نظراً لسمعة حنان التي تسبقها بأنها فتاة لعوب تهوى مشاغلة الرجال، بالإضافة لرأيها بأن ابنها يستحق زوجة أفضل من حيث المؤهل العلمي والنسب المشرف مثلها في ذلك مثل أي أم تتمنى لابنها الأفضل ، برغم كل تلك الاعتراضات فقد تمت الخطبة والزواج في غضون شهرين حيث أن العريس (جاهز من مجاميعه) لديه شقة وإن كانت في نفس منطقتهم الشعبية لكن يكفي أنها لن تتحمل هي أو أبوها أي من أعباء الزواج فشقتة لا ينقصها سوى العروس التي ستعمرها وتعمر حياته بالسعادة والحب.



**أعيش وحدة الجرثومة التي قضى ديتول على كل رفائها !**

كان أحمد ويسرا برغم حبهما الكبير مختلفين تماماً لدرجة التناقض، هي تنظر للعالم من خلال شريط النيجاتيف ذي الألوان الغير واقعية، بينما هو كان ينظر للعالم من خلال عدسة ترى الأشياء بوضوح وبحجمها الطبيعي، هي خيالية أكثر من اللازم، بينما هو واقعي أكثر من اللازم، هي كانت تعتبر أن الحياة أقدار وأن لكل إنسان قدر محتم لن يحدث له سواه مهما فعل، بينما هو يرى أن الحياة فرص وعلى المرء أن يكون متأهباً باستمرار لالتقاطها متى لاحت في الأفق كلقطة الكاميرا يضغط زر التقاط الصورة في اللحظة المناسبة لتخرج الصورة في أجمل حالاتها، وهذا ما جعله يقبل فوراً وبلا تردد ذلك العرض المغربي بسفره للعمل فأحدي شركات البترول بإحدى دول الخليج باعتبار أنها فرصة عظيمة قد لا تعوض وقد يندم إذا ما تركها تفلت من يده .

كانت يسرا دائماً ما تغلب قلبها على عقلها حتى عند اتخاذ أهم قرارات حياتها وهو الزواج، قالت لها صديقتها أنها وأحمد غير متشابهين وأن ذلك قد يكون سبباً كافياً لفشل زواجهما، لفتت انتباهها أيضاً أنها شخصية رومانسية تحتاج دائماً إلى نصفها الآخر ليكملها أما أحمد فبسبب طموحه الجامح يمكن أن ينسى أقرب من له في سبيل تحقيق هذا الطموح، إلا أنها لم تستجب لنصيحة صديقتها وأجابتها برومانسيته المبالغة ..

- حينا هايلغي كل الفروق اللي بيننا، هايلينا ندوب في بعض ونبقى كيان واحد.

تذكر يسرا أيضاً حين اشكتك لصديقتها من انشغال أحمد عنها وأنها تشاجرت معه لهذا السبب، نكرتها صديقتها حينها بنصيحتها لها قبل زواجهما وأنها كانت محقة في خوفها، فأجابتها بنفس الرومانسية المبالغة قائلة ..

- تعرفي يا نُهنا أنا بحبه لدرجة إيه؟ بحبه لدرجة إني أقدر أستحمل زعله مني وخصامنا ولا استحملش بعده عني، بحبه لدرجة إن حتى لو كنا متخاصمين ومديني ضهره واحنا نايمين يكفيني إنه نايم جنبني، شامة ربحته، سامعة دقات قلبه، نفس مدفيني في عز البرد .  
- كم أشقتها تلك الرومانسية !

كل تلك الأحداث والمواقف كانت تمر بمخيلتها وهي ترقص والدموع تسيل من عينيها بلا توقف، تراها أمام ناظرها تماماً كأنها تشاهد شريط "نيجاتيف" بأش حزين، بعدما أفرغت شحنة الغضب التي كانت تجثو على صدرها، فكّت حزام الرقص من حول خصرها وألق به على الأرض، وجلست على سريرها تلهث والعرق يتصبب من جبينها وجانبي وجهها، ارتشفت نقطة ماء من الكوب الموضوع على الكومودينو بجوار سريرها محاولة إطفاء لظى مشتعلة ناره في جوفها، أخرجت بعدها كتاباً لتقرأه لكنها سرعان ما أعادته مكانه في درج ذات الكومودينو دون أن تفتحه! ليس ثمة أسوأ من الشعور بالوحدة القاتلة بين أربع جدران باردة، نهضت متجهة إلى المطبخ صنعت لنفسها كوباً ساخناً من النسكافيه، عادت به إلى غرفتها ووضعته على شريكها في الوحدة ذلك الكومودينو البائس الذي اضطرت إلى التخلي عن الثنائي الآخر له حين اختارت مع أحمد غرفة نومهما تلك بسبب ضيق مساحة الغرفة وكأنها كانت تعقد مع هذا الكومودينو اتفاقاً ضمناً بأنها هي من ستكون مؤنسته كما أنه سيكون مؤنساها في وحدتهما، لذا لن يحتاج لكومودينو آخر يستأنس به !

أخرجت مجموعة النيجاتيف التي تحتفظ بها في ذات الدرج وسط أشياءها القديمة المحببة إلى قلبها ، كذلك السلسلة الفضية التي أهداها لها أحمد في بداية ميلاد حبهما كهدية لعيد ميلادها والتي تحمل من جهة أول حرف من اسمه ومن الجهة الأخرى أول حرف من اسمها ، بالإضافة إلى زجاجة العطر التي كانت لأمها التي ورثتها عن جدتها فاصبحت معتقة ذات رائحة نفاذة تستخدم منها القلة القليلة لتحتفظ بها أطول فترة ممكنة ، وأشياء أخرى تناولت أحد الأشرطة الفيليمية وقربته إلى عينيها، ابتسمت حين رأت صورة أحمد زوجها ، كان في المرحلة الثانوية آنذاك أثناء رحلة مدرسية مع زملائه بالمدرسة ومعلميه، كان يبدو في الصور خفيف الظل يصنع حركات بيديه كمقابل تصويرية لزملائه، ظلت تغلب في كل المجموعة حتى وصلت إلى نيجاتيف زفافهما، دمعت عيناها حين رأت نظرة أحمد لها في الصور والتي كانت تعدها بأنه لن يتركها أبداً وأنها ستكون معه أسعد زوجة في الوجود ، أو هكذا تصورت !.

تنهدت تنهيدة حارة ثم زفرت ..

- هو فين أحمد؟ ده سافر وقال عدولي، كأن الغربية حليت ليه! وعدني إنه هايرجع ياخدني في خلال شهور قليلة واهو شهر جر شهر وسنة جرت سنة لما بقوا سنتين وهو آدي وش الضيف، وكمان لا بيرحم ولا بيسيب رحمة ربنا تنزل ، طلبت منه يخليني اشتغل مارضيش قال لي انه خايف عليا من البهدله واللي هاتعوزيه هابعتهولك، وهي الحياة فلوس وهدايا وبس ياأحمد؟! حتى ماما مش عايزه تيجي تعيش معايا هنا قالتلي انها مابتحبش تسبب بلدها ولا بيتها وكانت عايزاني أنا اللي أروح أعيش معاها في البلد وده صعب وماقدرش اعمله أنا اتعودت على العيشة هنا في القاهرة حببت الزحمة والناس وصوت العربيات . أعمل إيه بس ياربي لا مرتاحه لوحدي ولا قادر هارجع أعيش مع أمي !! أووف ايه الزهق ده بس؟! لازم أعمل حاجة تخرجني من الزهق ده.

أحضرت هاتفها المحمول وفتحت صفحتها على فيس بوك، أول شيء قامت بتفحصه هو قائمة طلبات الصداقة والتي كانت تحوي أكثر من عشرين طلب صداقة لم تقبل منها سوى طلب واحد فقط كان لرجل، قبلت طلبه بعد الولوج إلى صفحته وتفحصها بشكل دقيق، تلك هي عاداتها قبل قبولها أي طلب صداقة تتفحص صفحة طالب الصداقة جيداً ومن ثم تقرر ما إذا كانت تقبل طلبه أم ترفضه .

كانت هذه الصفحة لشخص يدعى "حازم المهدي" صورة بروفايله تكشف عن وسامة متفردة، ويبدو من منشوراته أنه مثقف ويهوى التصوير الفوتوغرافي، أعجبتها صفحته فأى شيء يمت للتصوير الفوتوغرافي بصلة تتعلق به وكأنها وجدت ضالتها ، بدأت تضع بعض علامات الإعجاب على بعض الصور التي قام هذا الشخص بتصويرها ويطلب من أصدقائه بالصفحة أن يبدون رأيهم في تصويره ، لفت انتباهها صورة لفتاة تشبهها كثيراً في الملامح ولكنها ترتدي زي فلاحه وتضع على رأسها منديلاً بأوية وسبت فاكهة يميل قليلاً ناحية اليمين وترتسم على ملامحها ابتسامة صافية، أحببت تلك الصورة كثيراً وكتبت في خانة التعليقات ..

- كإني شايفه نفسي في المرايا

جاءها الرد سريعاً في خانة الرد ..

- اعتبريها هديتي ليكي يازميلتي العزيزة، نللتني صفحتي المتواضعة .

ثم أرفق بالرد وجهاً باسمًا

استوقفتها كلمة "زميلتي" دخلت تفتش داخل خلايا مخها عليها تتذكر زمالة هذا الشخص في الجامعة أو مرحلة ما قبل الجامعة ، لكنها لم تتذكره، أفاقت من شرودها في محاولة تذكره على صوت نغمة رسالة واردة في صندوق الرسائل فتحت الرسالة وجدها من الشخص ذاته ..

- ها لسه ما افكرتنيش؟

دهشت من إصراره على أنه يعرفها وهي لم تتذكر حتى أنها رأته من قبل ..

- في الحقيقة مش فاكراك، ممكن تفكرني بيك لو سمحت؟

- أنا حازم زميلك في جامعة القاهرة وانتى ممكن تكونى مش فاكراي لاننا اتقابلنا مرة واحدة بس في بداية السنة الأولى من الجامعة اتعرفنا على بعض بشكل سريع وبعد كده ماتقابلناش تاني لأن كل واحد فينا دخل كلية مختلفه ، أنا دخلت كلية فنون جميلة قسم تصوير فوتوغرافي وانتى دخلتى كلية الهندسة قسم مواد بترولية (يضحك) أنا حتى استغربت ساعتها انك دخلتى القسم ده، عادةً البنات مابتحبش تدخله !.

صممت قليلاً محاولةً أن تتذكر كل تلك التفاصيل لكنها فشلت للمرة الثانية ، شعر حازم بذلك فاستطرد ..

- شكلك ناسياني فعلاً ، عموماً أنا سعيد إنك بقيتى عندي في الأصدقاء، أنا بعثلك طلب الصداقة من فترة بس انتى ما قبلتهوش غير النهارده .

- معلش أصلي مش باهتمةالفيس بوك خالص إلا على فترات بعيده ، هو انت عندك استوديو تصوير؟

- أيوه عندي استوديو صغير كده على قدي، فتحته بعد ما تخرجت بحوالي سنتين ، كنت قبلها باشتغل فوتوجرافر حر يعني بعمل "فوتو سيشن" للعرايس وأعياد الميلاد والكابلز للمخطوبين

وكده يعني ، لحد ما كونت قرشين كويسين فتحت بيهم الاستوديو بتاعي كويس جداً برافو عليك ربنا يوفقك.

- على فكرة المكان مش بعيد ومكانه ما يتوهش ، تحبى أكتبلك العنوان تيجي تشرفيني واهي فرصة أخذلك كام كادر حلوين إنتى وشك فوتوجونيه جداً .

أسعدتها الدعوة وشعرت بأنها فرصة جيدة للخروج من وحدتها وعمل شيء محبب لديها وهو التصوير، تذكرت وقت أن كان عمها يغمرها تصويراً بأوضاع مختلفة وهي تضحك ، وهي تتقافز ، وهي تلعب، وهي ترسم على وجهها ملامح "بوز البطة" .

كما تذكرت أيضاً في تلك اللحظة الحاسمة كوب النسكافيه الذي صار بارداً !.

ماذا فعلتِ بي كي أبحثُ عنكِ في كل مكان؟

في اليوم التالي للحادث الذي وقع لماري، وفي تمام التاسعة صباحاً حيث بداية عملها في المركز الرياضي فوجئت بالشاب الذي صدمها بسيارته قد أتى ومعه باقة من الورود الحمراء منسقة بشكل أنيق يشي برقة حامله، حين رآته ارتسمت على ملامحها كل علامات التعجب والاستفهام !!!

- صباح الخير، أنا جاي وجايبك معايا بوكيه الورد ده عشان أعتذرلك عن اللي حصل مني امبارح، تسمحي تقبلي إعتذاري؟

ثم مد لها يده بباقة الورد، لجمت المفاجأة لسان ماري وظلت مشدوهة للحظات قبل أن تمد يدها لتتناول منه الباقة ، ثم وجدت أخيراً بعض الكلمات المتقطعة نطقت بها ..

- أنا .. أنا مش عارفة أقول لك إيه؟! ميرسي لذوقك، بس .. بس مكانش فيه داعي تكلف نفسك .

و نظرت للباقة ثم أردفت ..

- وخاصة إن شكل البوكيه غالي يعني .

- مفيش حاجة تغلا عليك ، دانا والله مانمت من امبارح كل ما آجي أخط راسي على المخدأفكر فيكي ، قصدي أفكرك وافتكرك إنني خبطتك بالعربية فضميري يأبني وأحس بالذنب ، عشان كده ما صدقت الصبح جيه قمت من بدري روحت اشتريتلك البوكيه دة وجيتلك هوا .

فعاجلته ماري وقد تبدلت ملامحها إلى الجدية وأفيقت من دهشتها قائلاً:

- انا قلت لحضرتك إنه ماحصلش حاجه والخبطه كانت بسيطه ، ثم انا أسفة جداً مش هاقدر أقبل منك البوكيه ده .. أتفضل

أعادت له باقة الزهور .

- ليه كدة بس يامودمازيل؟ يبقى انتي كده مش قابله أسفي !

- لو على أسفك أنا قبلته خلاص من امبارح ، لكن البوكيه اسفه مش هاقبله ، وبعد إذتك عشان انا عندي كلاس دلوقتي، وفيه ناس مستنيين جوه في الصاله .

بتطرديني يعني؟ وانا اللي جاي مخصوص عشان أعتذرلك يكون ده ردّ فعلك؟!!

- لا أبداً أنا مش بطردك لا سمح الله ، المكان مكانك وحضرتك تنور، بس أنا قولتلك إنني مش باقبل هدايا من حد.

- دي مش هديه ، دي ....

- خلاص يااستاذ من فضلك

- أوكي يامودمازيل براحتك .. بعد إذتك

غادر الشاب وقد شعر بالخجل من طريقة ماري الجافة معه ، تركها في حيرة من أمرها تتساءل ، من هذا الرجل غريب الأطوار؟ ولماذا يتعامل معي بهذا اللطف الزائد؟ هل هذه هي طريقته في التعامل مع كل الناس؟ شخص غريب فعلاً! .

ماري فتاة متحفظة جداً برغم تربيته المنفتحة! فهي خريجة مدارس "الفورير" حصلت على المعهد العالي للباليه منذ خمس سنوات ، كانت من أمهر راقصات الباليه في فترة دراستها بالمعهد، وكانت تنوي امتحان رقص الباليه لولا تعرضها لحادث سير أثناء سفرها مع أسرتها إلى الغردقة بالبحر الأحمر في صيف السنة النهائية لها بالمعهد أدت إلى إصابتها بكسر في العمود الفقري جعلها تجلس شهوراً طويلاً بالبيت ملازمة للفرش ، وخضعت للعلاج الطبيعي وللعمليات الجراحية والأدوية العلاجية فتحسنت حالتها الصحية قليلاً اقل مما كانت تتوقع فساعت حالتها النفسية ودخلت في حالة اكتئاب إلى أن نصحتها صديقة لها بممارسة اليوجا بعد أن أخبرتها بفوائدها العديدة الروحية والنفسية والجسدية ، استجابت ماري لنصيحة صديقتها وانضمت إلى فريق ممارسة اليوجا في أحد المراكز الرياضية ، ومنذ الجلسة الأولى بدأت تتحسن حالتها النفسية بشكل ملحوظ، وفي خلال أسابيع قليلة تحسنت حالتها الصحية أيضاً، حتى أنها في خلال شهر من ممارسة تمارين اليوجا الاستشفائية تعافت تماماً ولم تعد تشكو من الآلام السابقة في ظهرها، بالإضافة إلى التغيير الجميل الذي طرأ على شخصيتها ، أصبحت أكثر هدوءاً وسلاماً بل وأكثر تفاؤلاً أيضاً ، ما جعلها تفكر في احتراف اليوجا لتنفع الناس بما انتفعت هي به، وبالفعل أصبحت مدربة يوجا بعد أن كانت متدربة، وفي نفس المكان الذي تعلمت فيه ممارسة اليوجا! .

أكملت يومها في عملها وهي مشغولة بذلك الرجل الغريب الذي ظهر في حياتها فجأة والذي أربكها بتصرفاته الأكثر غرابة، ظلت مشغولة به حتى بعد انقضاء عملها وعودتها لبيتها ، حين خلدت للنوم وتمددت على سريرها واطعة ذراعيها خلف رأسها تساءلت ...

- ياترى اللي انا عملته معاه ده صح ولا غلط؟ يعني كان المفروض أقبل منه بوكيه الورد ولا لا؟  
أقبله ازاى وانا ماعرفوش؟! طب وإيه يعني؟ ده زي ما قال لك اعتذار مش هديه، برضومكانش ينفع أقبله ، بس تلاقيه بيقول عليا دلوقتي اني قليلة الذوق، ما يقول اللي يقوله وانا مالي؟! اما غريبة صحيح ، لأ بس انتي جيتي عليه بالجامد اوي وأحرجتية وهو مشي زعلان، الله طب مايمشي زعلان أنا مالي وماله اصلاً خايفه على زعله ليه؟! إيه اللي جرالك ياماري؟ من غمتي بتنشغلي بحد قوي كده؟

تتهدت تنهيدة عميقة لا تعرف سببها ، ثم أغلقت الإضاءة وأغمضت جفنيها طلباً للنوم .

استيقظت في اليوم التالي على صوت أمها وهي تزيح ستائر الغرفة .

- قومي يامرمر، قومي ياقلب مامي ، ناموسيتك كحلي، الساعة بقت تسعة وانتي لسه نايمه !

انتفضت ماري من على السرير

- ايه ده يامامي؟ سايباني نايمه لحد دلوقتي برضو؟ ده كلام؟ أديني أتأخرت على شغلي

- مانتى متعوده تصحي لوحذك كل يوم اشمعنب النهاردة اتأخرتي كده في النوم؟ لولا اني دخلت
- صحتك كان زمانك لسه نايمه
- أصلي مانمتش كويس الليله دي
- قالتها وهي تقبل جبين أمها ، تناولت بعدها منشفة الوجه واتجهت للحمام .
- مانمتيش كويس ليه يا حبيبتى مالك ؟
- مفيش يمامي عادي كان عندي أرق بس مفيش حاجة ماتقلقيش
- خرجت من الحمام بعد حوالي خمس دقائق وجدت أمها قد أعدت لها وجبة الافطار
- تعالي بقى كليلك لقمه قبل ما تنزلي
- لأ يمامي لقمه ايه؟ مفيش وقت انا يادوب اخش اليس بسرعه وانزل جري علي الشغل .
- دخلت بسرعة غرفتها وارادت ملابسها في ثوانٍ معدودة وخرجت مسرعةً، سحبت حقيبتها بينما ترتدي
- الفردة الأخرى من حذائها الرياضي
- طب حتى خديك ساندوتش كُليه وانتي نازلة علي السلم
- لأ مش مهم ، هابقاأكل أي حاجه في السنتر ، يلاً باي باي
- قُبلت أمها وهرولت على درجات السلم ، وصلت محل عملها في أقل من خمس دقائق ، اعتذرت لصاحبة
- العمل على التأخير ، أخبرتها صاحبة العمل أن شخصاً سأل عنها، فقالت مندهشة ..
- واحد سأل عليا أنا؟ مين ده؟
- أنا
- أناها صوته من خلفها ، استدارت لتجده هو ، نظرت له وهي تضع يدها في وسطها وتجز على شفقتها
- السفلى ولسان حالها يقول ..
- إنت برضو !!؟؟
- لكنه عاجلها قبل أن تنطقها
- المرة دي أنا جايلك في شغل؟
- شغل؟!!
- أيوة، جاي احجز عندكو كورس يوجا، مش برضو بتدربوا رجالة؟ ولآ السنتر سيدات بس؟
- لأ طبعاً بتدرب كل الناس سنات ورجاله وأطفال كمان
- جميل، أنا بقى جاي عشان اتدرب
- اعتذلت في وقفاتها، ثم نزلت بنبرة صوتها الحادة إلى نبرة أقل حدة

- اتفضل معايا في اوضة الانتظار، هاعرف حضرتك الأنظمة والمواعيد اختار منهم النظام والمواعيد اللي تناسبك .

في غرفة انتظار الزبائن جلست تشرح له الأنظمة والمواعيد، فاختر لنفسه ثلاثة أيام بالأسبوع ، ناولته استمارة ملء البيانات ، كتب فيها بياناته ، ثم أعادها إليها ، نظرت في الاستمارة فلفت نظرها اسمه .. مينا عادل عبدالمسيح .. قرأته بصوت عالٍ .

- شوفتي الصدفه العجيبه انتي ماري وانا مينا يعني لو حطينا الإسمين جنب بعض هايبقوا ماري مينا

رمقته بنظرة حنق ، فعاجلها قائلاً ..

- والله مااقصدحاجة انا باهزر بس

- ممكن اعرف حضرتك عرفت إسمي منين؟ -قالتها بحده-

- لما سألت عنك في الريسبيشن مكونتش عارف إسمك فأديت مواصفاتك لموظفة الاستقبال فقالتلي اسمك ماري ، بسيطه يعني، ايه هو اسمك سر مش عايزه حد يعرفه؟

لم ترد على سؤاله ، وعادت لتتظر في استمارة العضوية وراجعت باقي البيانات بعينها سريعاً ..

- طيب تقدر حضرتك تتفضل تدفع الاشتراك في الريسبيشن والكورس بتاعك هايبتدي من بكرة بإذن الله .

- وطبعاً انتي اللي هاتدربيني؟

- أفندم؟

- أنا قصدي أسأل هو حضرتك اللي هاتدربيني ولأ حد تاني؟

- السبت والاتنين أنا اللي هادرِّبك مع الجروب بتاعي ، أما يوم الأربعاء هاتدربك كابتن دينا مع الجروب بتاعها

- يعني بكرة انتي ، زي الفل يبقى أشوفك بكرة ، سلام !

للمرة الثانية تربكها تصرفات هذا الشاب الوسيم ، والتي لا تنكر على الأقل بينها وبين نفسها أنه استطاع أن يلفت انتباهها ، وانها بدأت تتشغل به وتفكر فيه حتى وإن كانت تتعامل معه بجدية وبحذر.

**لا تتدم على شيء لم تمتلكه لأنك ربما لو امتلكته لأذاك !.**

عاد مجدي مبكراً جداً على غير عادته ، فقد اعتاد أن يخرج في تمام الساعة صباحاً قاصداً المدرسة الإعدادية للبنين التي يعمل بها وبعد انتهاء اليوم الدراسي يتوجه مباشرةً إلى مركز الدروس الخصوصية الذي يعمل به كعمل إضافي يساعده على تحمل أعباء الحياة الزوجية كرب أسرة له زوجة وابن بالإضافة إلى أمه التي وإن كانت لا تعيش معه في بيت الزوجية إلا أنها تقيم في شقة قريبة من بيته اعتاد أن يزورها فيها بشكل شبه يومي وإعطائها بعض المال فهو بارٌّ بوالديه منذ صغره ولازال باراً بأمه بعد وفاة أبيه منذ أكثر من عشرين عاماً .

اليوم شعر بإعباء وبالكد أكمل يومه المدرسي ولكنه وجد نفسه غير قادر على مواصلة عمله الإضافي في مركز الدروس الخصوصية فاعتذر لتلامذته وعاد لبيته ليستريح .

أضيف على شعوره بالإعباء شعورا آخر لم يكن ينقصه، شعور بالضيق، حين عاد لبيته و لم يجد زوجته بالبيت ، نظر في ساعته وجدها تشير إلى الحادية عشر والنصف ، ليس الوقت موعد إحصار ابنتها من دار الحضانة، أين ذهبت إذن؟! هاتفها فوجد هاتفها المحمول مغلقاً، ساوره القلق والشك، القلق خشيةً أن تكون قد تعرضت لمكروه، والشك لأنه يشعر بتغيرها تجاهه في الأيام الأخيرة، زادت مرات خروجها من البيت، تغلق هاتفها أحياناً ، ولا ترد أحيان كثيرة ، لم تعد تشتكي وتتذمر لإنشغاله عنها مثلما كانت تفعل دائماً في السابق، تساءل .. لماذا؟ هل لأنها اعتادت الوضع؟ أم أن ثمة خطباً ما؟!!

لم يكن مجدي شكاكاً بطبعه، بل على العكس تماماً هو يثق بزوجه أيما ثقة، لكنه بات يخشى هذه الثقة، ويخشى أن يندم يوماً عليها ، جلس على الأريكة في صالة شفتها يجتر الذكريات وعيناه معلقتان على باب الشقة، تذكر كيف عرفها وكيف أحبها، وكيف ومتى تجرأ وطلبها للزواج، وماذا كان رد فعل أمه حين كشف لها عن نيته في الزواج بها، خرجت زفرة حارة من بين شفتيه محدثاً نفسه ..

- رأيتها على حين غرة، جذبتني العينان الخضراوتان، بل انتشلتني من وحدتي، أشعرتني بأنس غريب لم أستشعره من قبل في حضرة امرأة، احتضنتني تلك العينين وأنا البكر الذي لم يلق بنفسه في حضن امرأة غير حضن أمي، اقتلعتني من وحدتي الموحشة وأدخلتني جنتها الخضراء، عيناها مروجٌ واسعةٌ، براحٌ لا يمكن للراني رؤية مدها، بياض جلدها الصافي كبياض لبن ثدي أمي وأنا بعد رضيع، شفتها حين تبتسم تتحولان إلى قطعتي فراولة شهية النظر لذيدة الطعام، وجنتها حين تحتقنان خجلاً تصبحان كالتفاح الأمريكاني، جمالها الأجنبي وخفة ظلها المصرية مزيج يُذهب اللب ويرفرف بالقلب، خصلتها الهاربتان من شعرها والمطلتان في شقاوة من نافذة حجابها والساقطتان عن عمد على جبينها الغض تشي بنعومة ملمسه، ولونه الأشقر كلون سبائك الذهب الخالص تنعكس على عينيك تجبرك على إغماضهما فتأبى إلا أن تستزيد من جمال لمعته المحببة لبرصك، حين تتحدث تخرج الكلمات متراسة كغمات لحن أغنية عذبة ، مشيتها المتعنجة كإحدى راقصات الباليه اللاتي رأيتهن يوماً في عرض أوبرالي على شاشة التلفاز، شعرت من تلك اللحظة وأمام كل تلك التفاصيل القاتلة أنني لست أحبها فحسب، بل أتفلسفها، أستنشقها، أعيش بها، مع كل شهيق يدخل ربيتي أستشعرها فأحبس أنفاسي لا أريد أن أخرجها كي

تظل تحتل كل نسيج من أنسجتي وتتغلغل في كل خلية من خلاياي ، لم أطق صبراً ولا احتمالاً لهذا الفيضان الذي اجتاحني، خلنتي سأموثُ بعد دقيقتين أو ثانيتين أو ربما لحظتين، فكان أمامي خياران لا ثالث لهما .. إما أن أبتعد عن هذا الفيضان، أو أن أترك نفسي له وأصبح جزءاً منه، استجمعتُ كل قواي وفتحتها في رغبتني امتلاكها خشيةً أن يسبقني قاطفٌ غيري ويقطف ثماري اليانعة ، نعم هي ثماري أنا وحدي وأنا الأحق بها من غيري، لم اصدق أذناي حين همست لي بالموافقة ، أحسستُ أن باب الجنة الذي انتظرت دهرأ أن يُفتح، قد فُتح لي أخيراً، فُتح على مصراعيه حائلاً إياي على الولوج والتمتع بما لذ وطاب من الخيرات ولن يمنعي أحد ، حتى أمي المسكينة حين رفضت زواجي بها استخدمتُ كل الحيل الممكنة وغير الممكنة في إقناعها، عدتُ طفلاً صغيراً يخبط على صدره راجياً أمه أن تسمح له باللعب بلعبة خطيرة عليه، قبلتُ يديها وجبينها ، وحين لم تنفع كل تلك الحيل وما شابهها، أديتُ غضبي وحزني منها ، وخاصمتها، نعم خاصمتُ أمي لأجلها، لم يكن خصامي لأمي حقيقياً ولكن الخدعة التي هداني إليها تفكيري كنوع من الضغط عليها كي توافق، رشحت لي من البنات الكثيرات، القرابات منا والبعيدات، بنات الجيران والصدقات، بنات العائلات والحسناوات، المعلمات الفضليات والموظفات، أسماء لا حصر لها ولا أعداد، تمسكتُ بحقي في الزواج ممن اشتتها نفسي، وأنا الذي لم أشته يوماً امرأة، وأنا الذي لا أعرف في حياتي سوى العمل والاجتهاد، بعدما قابلتها أصبتُ بالعمى عن كل نساء الأرض إلاها، أراهن جميعاً ولا أرى سواها، ، وأمام إصراري وعنادي وافقت أمي في النهاية على ارتباطي، برغم عدم اقتناعها بفتاتي، إلا إنني أصررتُ بكل قوتي، وأنا الذي لم أخالف أمي طيلة حياتي، أنا الطفل المطيع، والمراهق الخنوع، والشاب الهاديء العاقل، أصبحتُ ابناً عاقباً عاصياً قنوطاً، هكذا تصورتُ نفسي وأنا انتزع موافقة أمي انتزاعاً . قالت لي أمي .. اذهب يا بني تزوج ممن تحب ما دمت اتخذت القرار .

يوم زواجي بحبيبتني ، شعرتُ وكأنني قد امتلكتُ الكون بين يديّ ، كأنني أمسكتُ الشمس بكفيّ، وها هي زهرتي الجميلة تتفتح كل يوم أمام ناظريّ، أصبح حضنها هو ملاذي من متاعب الدنيا وهمومها، ألقى كل ليلة أثقالني عن كاهلي تحت قدميها، فأرتاح لصحبتها، وأستطيب برفقتها، وأفتتن برقتها وفتنتها، لكن لماذا لم تعد مثلما كانت؟ لماذا يحدث معي ما لم يكن في الحسبان؟ أخشى أن أفقدها وأعود وحيداً كسالف زمني، أعرف أن تقصيري في حقها مؤخراً هو السبب فيما أعانيه الآن، لكن ألم أفعل كل ذلك من أجلها؟ من أجل إرضاء طموحها ، تلك الفرسة الشرسة التي لا تكف عن جموحها، كيف كنت سأروضها لو لم أملك زمام أموري أو فقدت اللجام؟! آآآه يا "حنان" لو تعرفين ما في قلبي من غليان، قلبي الذي لو فتحتيه لانفجر في وجهك كالبركان ، قلبي الذي ولجتيه بنظرة واحدة دونما استئذان، عودي يا حبيبتني كسابق عهدي بك، شجرة تظللني بأوراقها الوارفة من حر الأيام، وحضناً يدفئني في الليالي الباردة يحلوة الكلم واللسان، وسأعدك أنا بالنسيان، فكل ما يُعتمَل في صدري سيذهبُ أدراج الريح مع أول لمسة من يديك، وأول قبلة من شفئك وأول ضمة بين ذراعيك ، وسأترجع عن شكّي وحيرتي وخوفي وغيرتي وسأذكر حينها فقط أنك سكني وبيتني، وأنتك جنتي .

من أجل الحب

جاء مينا في الموعد المحدد لكورس اليوجا، جلست ماري على الأرض قبالة المتدربين والذين بينهم مينا، بدأت تشرح لهم ماهية اليوجا وفوائدها للإنسان، جلس مينا في الصف الأوسط بين الصفوف الثلاث يتابع ماري بعينين مدققتين ملوهما التركيز والانتباه، يرقب حركة يديها وشفتيها، اكتشف شخصية أخرى لماري غير تلك التي تتعمد إظهارها على ملامح وجهها الجادة، شعر أنه أمام شخصية ساحرة، وكأن ماري خلعت قناع الجدية الذي ترتديه طيلة الوقت ولبست بدلاً منه ابتسامة صافية أنيقة ، يداها الرشيقان تتحركان بانسيابية وعضوبة كأنها تحتضن آلة الكمان وتضرب على أوتارها فتخرج من بين أصابعها ألحاناً عذبة أو كأنها قائد أوركسترا بارع يقود فرقته الموسيقية ويشير إليهم بيديه لينفذوا تعليماته فتخرج الأنغام متناغمة مدهشة ، تحب ماري اليوجا حد العشق، عند ممارستها مع فريق أو حتى بمفردها تشعر وكأنها على موعد مع حبيب، تغمرها السعادة والراحة والسكينة، تتحدث عن اليوجا وكأنها تصف معشوقها .

قالت بصوت هاديء وعميق ..

- اليوجا هي اتحاد بين الروح والعقل والجسد، أول من عرفها هم الهنود منذ أكثر من خمسة الآف عام ، وهي ليست من الطقوس الدينية ولكن نوع من التأمل يمكن لأي شخص مهما كانت ديانته أو معتقده أن يمارسها، ولليوجا فوائد عدة منها .. تنظيم عملية التنفس، والمساعدة على الاسترخاء والهدوء، والمساعدة في التخلص من التوتر والقلق وأي مشاعر سلبية يمكن أن تصيب الإنسان، عند ممارستها لليوجا تصبح في حالة تأمل وفي أقصى حالاتك الروحية كما أنها تجعلك في اتصال مع الله ومع الكون ومع نفسك الداخلية، تهذب النفس وتقومها، تبدل أفكارك السلبية بأخرى ايجابية ، كما أنها مفيدة أيضاً لعلاج الكثير من الأمراض الجسدية كآلام الظهر والروماتيزم، ووالسكري والضغط، ولها أثر فعال في التخسيس وتخفيف الوزنونحت الجسم والرشاقة، كما أنها لا ترتبط بسن أو نوع أو حجم الجسم او وزنه، فهي للأطفال والكبار وللرجال والنساء وللجسام البدنية والنحيفة علي حدٍ سواء، وبما أنكم اخترتم ممارسة اليوجا التي هي بمثابة رياضة روحية إذن فقد اخترتم تغيير أنفسكم للأفضل ثم اردفت:
- كانت تلك مقدمة سريعة عن اليوجا وفوائدها والآن حان وقت التدريب العملي، مستعدين؟

صاح الجميع بصوت حماسي اكتسبوه من حماسها ..

- مستعدين

بدأت تدربهم على بعض الحركات البسيطة التي تناسب المبتدئين ، بعد انتهائها من الدرس الأول من التدريب والذي استمر قرابة ساعة طلب مينا التحدث إليها على انفراد ، تعجبت ماري من طلبه لكنها

استجابت له ، اتجه كلاهما إلى قاعة الانتظار وجلسا إلي منضدة علي مقعدين، ساد الصمت بينهما لمدة وجيزة استجمع فيها مينا شجاعته ثم بادر بالحديث..

- مودمازيل ماري ، في الحقيقة إنا عايز أتكلم معاكي في موضوع مهم وحساس بس ارجوكي ماتفهمينش غلط.

عقدت ماري حاجبها في استفهام ..

- موضوع إيه؟ وليه متصور إني هافهمك غلط؟
- يعني ، يمكن عشان طريقة تعارفنا كانت غريبة شويه، فده يمكن مخليكي متحفظه في التعامل معايا أو خايفه مني
- من فضلك من غير مقدمات ادخل في الموضوع على طول لأنني عندي كلاس ثاني بعد نص ساعة
- طيب حتى مش هاتطلبيلي حاجة اشربها ؟ أنا ضيفك برضو

زفرت في ضيق

- طيب طيب خلاص ، أنا هادخل في الموضوع على طول، بصراحة كدة ومن غير لف ودوران أنا معجب بيكي .
- افندم؟
- قولتلك من غير ماتفهميني غلط، هي دي الحقيقة أنا معجب بيكي جداً من أول مرة شفتك فيها لما خبطتك بالعربية ، أول ما عيني جت في عينك وانتي بتتنفسي هدومك حسيت فيهم بحنية غريبة رغم إنك بتحاولي تخفيها ورا التكشيرة والملامح الجامدة

ارتبكت من مغالزته وكلماته الرقيقة ولكنها تداركت ..

- من فضلك ...
- انا مش بعاكسك صدقيني، أنا غرضي شريف
- تقصد إيه؟
- في اليوم اللي شفتك فيه ده مانمتش ، كنت كل ما آجي أغمض عينيأ أشوفك قدامي، لدرجة إني فكرت أنزل بالليل بالعربية أدور عليك في نفس المكان، وعملت كدة فعلاً نزلت وجيت الشارع هنا أدور عليك زي المجنون وكان متهيألي إني هالاقيني لكن طبعاً مالتكيش .

ابتسمت ماري و تابع مينا كلماته

- طبعاً مش مصدقاني واكيد بتقولي في سرك عني ده يا إما كذاب يا إما مجنون لكن د اللي حصل فعلاً صدقيني ، وفي اليوم الثاني وانا مكونتش نمت أصلاً جيتلك من الصبح وجيتلك بوكيه الورد عشان أعتذرلك وهي بصراحة كانت تلكيسة عشان أشوفك لكن طبعاً حضرتك رفضتي تاخدي الورد ورجعتيني قفايا يقمر عيش.

اتسعت ابتسامة ماري وأطرقت خجلاً ، فاستطرد مينا قائلاً..

- فكرت ممكن أتقرب منك إزاي وانتي مش مدياني فرصة، قلت لنفسي مفيش غير إني أشترك في كورس اليوجا وبكدهأضمن إني أشوفك اكر من مرة في الأسبوع و لوحتي في وسط الناس مش مهم ، المهم إني أشوفك

ردت ماري بصوت رقيق غير الصوت الذي حدثته به منذ قليل ..

- يعني انت اشتركت في الكورس بس عشان تتقرب مني ؟
- بصراحة ه، وانا معنديش شك في ذكائك و عارف انك فهمتي ده لوحديك
- وبعدين؟
- وبعدين ياستي هاكون أسعد إنسان في الدنيا لو وافقتي تتجوزيني

تورد خدا ماري وقبل أن تجيب عاجلها مينا :

- بصي، أنا مش عايزك تردي عليا دلوقتي، خدي وقتك في التفكير ، وأنا لحين ما يوصلني ردك مش هاجي السنتر تاني عشان مكونش باضغط عليك و اكون بأثر او باشوش تفكيرك .

ثم أخرج من جيب قميصه كارت وناولها إياه ثم أردف ..

- وده الكارت بتاعي عليه أرقام تليفوناتى الأرضي والموبايل، هاستنى ردك ولازم تعرفي اني هاكون أسعد أنسان في الدنيا لو طلبتيني وبلغتيني موافقتك ، سلام يأجمل بنت قابلتها في حياتي .

غادر مينا وتركها تتأمل الكارت الذي يحمل اسمه وأرقام هاتفية، أبهرتها طريقته في عرضه للزواج بها وهامت مع جملة الأخيرة "يأجمل بنت قابلتها في حياتي" تلك الجملة التي كانت بمثابة الحجر الذي ألقي في بركة ماء ساكن والتي حركت بداخلها مشاعر دفينه قد وأدتها منذ خمس سنوات بعد أن تعرضت لقصة حب فاشلة جعلتها تفلح عن فكرة الزواج، بعد حادث السيارة الذي تعرضت له وأدى إلى إصابتها في ظهرها فبدلاً من أن يقف بجوارها حبيبها والذي كان يُحضر معها لحفلة خطوبتهما فوجئت به يختفي تماماً من حياتها ولا يرد على هاتفها ولا يأتي لزيارتها وبعد حوالي شهر من الحادث أرسل لها مع احد أصدقائهما يعتذر عن عدم قدرته الاستمرار في علاقتهما وإنه يحلها من أي إرتباط بينهما، كان وقع صدمتها فيه أكثر إيلاًماً من الأصابة التي أحدثها لها ذاك الحادث، ما جعلها تدخل في حالة اكتئاب وتفقد الرغبة في الحب والزواج بل في الحياة ككل إلى أن ظهر مينا في حياتها ويبدو أنها قد بدأت في التفكير في العدول عن قرارها السابق، عادت في ذلك اليوم وتختلج بداخلها مشاعر متداخلة ، سعادة وخوف، شاردة كأول مرة قيلت لها فيها كلمة "أحبك" حين كانت آنذاك ابنة التاسعة عشرة من عمرها ، نفس الشroud ، نفس الهيام، نفس السعادة ، ونفس الخوف أيضاً .

لاحظت أمها شرودها فاقتربت منها وجلست بجوارها على طرف السرير بينما كانت ماري تتأمل كارت المحبة ..

- مالك يامرمر؟ واية الكارت اللي في إيدك ده؟

ردت ماري وهي تنظر في الفراغ بصوت أقرب إلى الهمس منه إلى الكلام:

- تصوري يمامي أنا جاني عريس النهارده!

صاحت أمها متهلة، فمذ حادث ماري وهي تدعو الله كل يوم أن يرسل لها الشخص المناسب الذي ينسبها ما حدث لها في الماضي ويجعلها تعدل عن فكرة العزوف عن الزواج .

- عريس؟ بجد يامرمر؟ عريس مين؟ ومنين؟ وعرفتيه ازاى؟ وانتي رأيك إيه؟

- بالراحة يمامي إهدي يا حبيبتي وانا هاقولك كل حاجة، فاكرة اليوم اللي رجعت فيه من الشغل

وكنت بعرج كدة علي خفيف بسبب خبطة العربية اللي اتخبطتها تحت العمارة في الشغل؟

- ايوة فاكرة

- أهو الشاب اللي خبطني بعربيته ده هو اللي عايز يتجوزني

- معقولة!

- أه تخيلي، وتخيلي كمان إنه جاني تاني يوم وجابلي معاه بوكيه ورد عشان يعتذرلي بس انا طبعاً

مارضيتش آخذ منه بوكيه الورد ورجعته بيه، تصوري بعدها عمل إيه؟

- إيه؟

- اشترك في كورس اليوجا عندنا في السنتر عشان يتعرف عليا، والنهاردة فاجئني بطلبه الجواز

مني.

- وواضح طبعاً أنك موافقة !

- لأ طبعاً يمامي أنا لسة موافقتش ، أنا محتاجة أفكر ، وبعدين انتي عارفة رأيي في موضوع

الجواز ده من زمان .

- يا بنتي يا حبيبتي ، انسي بقى اللي حصلك زمان، انتي مش أول واحدة تحب وتكون على وشك

الارتباط ومايحصلش نصيب ، عادي بتحصل ، وبعدين مش كل صوابك زي بعضها، ياما في

شبان زي الفل واولاد أصول وانتي يا حبيبتي طيبة وتستهلي كل خير ، مش يمكن ربنا بعثلك

الشباب ده عشان يعوضك عن السنين اللي عدت عليك من غير جواز، دانتي اللي في سنك

اتجوزوا وخلفوا ومعاهم بدل العيل اتنين وتلاتة وانا نفسي أفرح بيكي بقى يامرمر عشان لو مُت

أموت وانا متطمنة عليك .

- بعد الشر عنك يمامي ماتقوليش كده انتي عارفة إن لو جراك حاجة ماقدرش أعيش لحظة واحدة

من بعدك ربنا يطولي في عمرك ياست الكل .

احتضنت أمها وقبلت يدها ، فربتت أمها على كتفها ..

- عموماً يا حبيبتى خدي وقتك في التفكير ولو وافقتي خليه يجي يقابلني ويخطبك مني ومن سامح أخوكي، واللي فيه الخير يعمله ربنا .
- صح عندك حق .. اللي فيه الخير يعمله ربنا

بعد أسبوع تمت خطبة ماري ومينا، وبدأت السعادة تعرف طريقها لماري مرة أخرى بعد أن هجرتها لاعوام، أحبت مينا وتعلقت به وحبها له جعلها تحب نفسها أكثر وتكتشف نفسها من جديد ، ومينا أيضاً تعلق بها وكان يتفانى في إسعادها .

كما أن الإهمال يميت الحب فإن الاهتمام يولد الحب

نهضت يسرافي ذلك اليوم من نومها نشيطة تملؤها الحيوية والسعادة على غير عاداتها! كانت الساعة الثانية عشر ظهراً موعد استيقاظها اليومي، نظرت إلى نفسها في المرآة وابتسمت، اغتسلت وتناولت فطورها وقهوتها الصباحية كي تكتمل حالتها المزاجية الجيدة، ارتدت زياً أنيقاً، بلوزة باللون الأحمر ذات أكمام قصيرة جداً كشفت عن ذراعين مستيرين رائعين، وبنطالاً من الجينز الأزرق قصير نوعاً ما كشف عن كاحلين يحرمان ساقين يشبهان في لونهما ولمعتهما عمودين من الرخام المصقول، وأكملت أناقتها بصندل باللون الأسود ذي كعب عالٍ جعل كعبي قدميها الحمرأوين يبدوان كحبتي كرز تعتلان طبق من الكعك الشهي، ولم تنس اللمسات الأخيرة لتزداد الطلة البهية بهاءً، قامت بطلاء أظافرها الطويلة المعتنى بها جيداً باللون الأحمر القاني مما أضفى عليبياض يديها مزيداً من الجمال ، أطلقت لشعرها العنان فأندسل على ظهرها في نعومة لتتطاير بعض خصلاته على وجهها النضر فتزيدها إثارةً وجاذبيةً.

كانت كمن على موعد مع السعادة أو كأنها ذاهبة لموعد غرامي ، نعم هذه طبيعة يسرا ، الاهتمام بمظهرها ولكن هذه المرة بالغت في هذا الاهتمام وهي نفسها لا تدري سبب هذا الاهتمام وهذه المبالغة !

سحبت حقبيتها السوداء صغيرة الحجم ذات الشريطين الرفيعين باللون الأحمر على جانبيها وحقبة أخرى من البلاستيك بها قطعتين من ملابسها تعرف أنها ستحتاجهما في مشوارها .

خرجت من شقتها بالزمالك أرقى أحياء القاهرة ، ركبت سيارتها قاصدةً استوديو تصوير حازم في وسط البلد، حازم ذاك الرجل الذي عرفته منذ سويغات قليلة لكنها تشعر في قرارة نفسها أن ثمة قواسم مشتركة بينهما، تلك القواسم جعلتها تستجيب لدعوته بزيارته في الاستوديو لتتعرف إليه أكثر، ولكي يلتقط لها بعض الصور الفوتوغرافية والتي ستمنحها فرصة الوقوف أمام الكاميرا مرة أخرى بعد ان افتقدتها لسنوات .

لم يصدق عينيه حين لمحها أمام باب الاستوديو تحاول قراءة اللافتة الموضوعية أعلاه لتتاكد من العنوان واسم الاستوديو كما كتبه لها حازم في تلك المحادثة الاليكترونية ليلة أمس .

نهض مبتهجاً من على مقعده مرحباً بها ترحيباً يليق بها هو الذي يعي تماماً كيف تُعامل النساء .

- أهلاً أهلاً يسرا هانم نورتي المكان يا ست البنات.

اتجه نحوها وصافحها وقبّل يدها وسط دهشة يسرا التي لم تجرب تقبيل يدها من قبل ، حتى أحمد برغم حبه لها وإغراقها بالقبّل إلا أنه لم يتطرق يوماً إلى تقبيل يدها وقد يكون السبب في ذلك هو اعتزازه الشديد بشخصيته واعتباره أن مجرد تقبيل يد زوجته هو انتقاص من رجولته أو لأنه لم يعتد على مثل هذا النوع من التقبيل .

كانت يسرا بجانب أنها امرأة جميلة كانت رقيقة وتظهر رقتها بوضوح في نطقها للفرنسية بطلاقة ورقة متناهية ، يُطلق على اللغة الفرنسية "لغة الشفايف" لذا برعت يسرا في تعلمها والتعامل بها مع من حولها وخاصة الرجال باعتبارها اللغة الأنسب للمرأة ولأنها تريد استخدام شفاهها استخداماً آخر غير القبلات التي حرمت منها منذ ثلاث سنوات !.

- المعاملة ال Jante ماتليقش غير بالهوانم
- شكلك زي صورك على الفيس بوك مفيش اختلاف كبير
- بس إنتي أحلى بكثير من الصور

أخجلتها مغالته الواضحة والتي يحاول إخفاءها وراء مسمى المجاملة والمعاملة اللطيفة ، استطرد ..

- اتفضلي استريحي

جلست يسرا على المقعد قبالة مكتب حازم تنلفت على الحوائط المعلق عليها بعض من صور زبائنه .

- والله أنا مش مصدق إنك قدامي
- إيه ؟ مكونتش متوقع اني هاجي ؟
- في الحقيقة لأ ، ماكنتش متوقع انك هاتستجيبني لدعوتي بالسرعة دي
- بصراحة أنا معرفش إيه اللي خلاني ألبى دعوتك وأجي النهاردة رغم اننا لسة يادوب اتعرفنا علي بعض امبارح بس انما يمكن عشان كنت محتاجة اوي للدعوة دي .
- ده من حسن حظي، تشربي إيه؟
- لأ ميرسي، أنا لسة شاربة قهوتي قبل ما اخرج من البيت
- لأ ما ينفعش ماتشربيش حاجة ، القعدة هنا بالمشاريب

ضحكت لدعابته الظريفة وردت ..

- خلاص يبقى أشرب أي حاجة ، عندك إيه؟
- بصي انا بعمل قهوة فرنسية مافيش حد في مصر بيعمل زيها، قهوتك إيه؟
- مظلوط

أشعل السبرتاية الموضوعة بجوار المكتب ووضع عليها كنكة القهوة وصنع لها فنجاناً من القهوة أنعشت رائحتها الشهية أنفاس يسرا العاشقة للقهوة ، ارتشفت منها رشفة بتذوق ..

- امم، لذيذة فعلاً ، شكلي هاجي أشرب قهوتي عندك كل يوم
- ياسلام ده الاستوديو وصاحب الاستوديو وقهوة صاحب الاستوديو تحت أمرك

ابتسمت ابتسامة أشبه بالضحك :

- بس أنا مش فاكراك حتى بعد ماشفتك، كنت متخيلة اني لما هاشوفك هاعرفك لكن برضو مش قادرة أفتكرك ولا أفتكرك إننا إتقابلنا في الجامعة زمان زي ما قولتلي .

- عندك حق ماتفتكر نيش ، أنا أصلي برضو شكلي اتغير عن زمان ، طوّلت شعري زي مانتي شايفة و عملت دقني دوجلز ، ده غير طبعاً فرق السن من دلوقتي عن أيام الجامعة
- بس الغريبة إنك انت لسة فاكروني
- انا عمري ما نسينك يا يسرا

نظرت له فادهشتها نظرة عينيه التي أعقبت جملته فأطرقت خجلاً ، فتدارك ..

- قصدي إني عمري ما بنسى أي حد قابلته في حياتي وخاصةً الناس المميزين

قال جملته الأخيرة وهي ترتشف آخر رشفة من فنجان قهوتها ..

- طيب مش يلاً عشان تصورني زي ما وعدتني
- طبعاً اتفضلي

أشار لها بالدخول إلى صالة التصوير ، سبقته وتبعها وهو يقول ..

- هاصورك شوية صور إنما إيه عمرك ماتصورتني زيهم قبل كدة .

في غرفة التصوير وبعدما رأت يسرا الكاميرا مثبتة على حامل الكاميرا ورأت المظلتين الكبيرتين السوداوتين المظليتين من الداخل باللون الفضي العاكس لضوء فلاش الكاميرا كي يزيد من قوة الإضاءة على وجه الشخص الذي يقوم المصور بتصويره، تعرف يسرا كل هذه التفاصيل وتذكرها جيداً ، مرتت يدها على الكاميرا وكأنها تلقي عليها التحية وتسالها هل تذكريني ! ثم اقتربت من المرأة الموجودة بركن الغرفة والتي كانت تحمل أسفلها بعض الامشاط ومساحيق التجميل ، استحضرت في خيالها الأيام الخوالي في استوديو التصوير الخاص بعمها في أقصى الصعيد وكأنها أمام شريط نيجاتيف محبب لناظريها ولقلبها أيضاً .

- نيكون الكاميرا دي مش كدة؟
- ايه ده؟ انتي بتعرفي في أنواع الكاميرات؟
- طبعاً دانا مصوراتية قديمة، تحب أقولك باقي الأنواع التانية من الكاميرات؟ كانون ، وياشكا، وزينيت، شوفت بقى إن أنا بعرف في كل تفاصيل التصوير لأ وكمان بعرف أنواع الأفلام اللي كانت بتستخدم زمان في التصوير قبل اختراع كاميرات الديجيتال دي ، زي مثلاً فيلم فوجي، وكوداك ، ونيكون .

وقف مشدوهاً أمام خبرتها الهائلة في أدق تفاصيل التصوير .

- ما تستغربش ، أنا أصلي اشتغلت مع بابا زمان في استوديو التصوير بتاعه، هو مش بابا بالظبط هو عمي اللي رباني بعد موت بابا الله يرحمه وانا أتعودت اقوله بابا لأنه حنين جدا عليا وعمره ما حسّسني إنه عمي .

- الله يرحم باباكي ويخليك عمك ، انتي أبهرتيني النهاردة بصراحة ، أنا مكونتش أعرف إنك بتفهمني كدة في التصوير وإنك كمان كنتي بتصورني، احنا كدة طلعلنا زُملُ بقي .

ضحك الأثنان ثم قالت يسرا:

- ها هاتصورني ازاى بقي ؟

- بالطريقة اللي انتي تحببها ، أنا هاسيبك تختاري براحتك الشوت اللي تحبي تشوفي نفسك بيه .

أعجبتها فكرة أن يترك لها حرية اختيار الكادر أو اللقطة التي تريد أن ترى نفسها عليها، فبدأت باختيار أوضاع مختلفة ، مرة تقوم بفرد شعرها، ومرة أخرى ترفعه، تظهر دلعها وأنوثنها مرة وترسم على وجهها ملامح الجدية مرة أخرى ، تبتسم مرة وتمط شفثيها مرة أخرى واضعة إحدى يديها على الأخرى كما كانت تفعل وهي طفلة صغيرة تصطنع الغضب ومخاصمة أمها إذا رفضت لها طلب ، كما أنها بدلت ثيابها بقطعتي الملابس اللتان كانت تصطحبهما معها في حقيبتها ، واللتان كانتا عبارة عن بلوزتين واحدة باللون الأخضر الزاهي، والأخرى باللون الزهري المشجر ليصنع لها حازم بكل تلك اللقطات ألبوماً يحوي عدداً لا بأس به من الصور .

أثناء جلسة التصوير تلك تحدثنا معاً بشكل عابر عن حياتهما الشخصية عرف منها أن زوجها هاجر منذ عامين خارج البلاد وأنها تعيش وحيدة في شقتها بالزمالك ، وعرفت هي منه أنه لازال أعزب لم يتزوج بعد وأنه يعيش بمفرده في شفته بالتجمع الخامس ، بعد انتهاء الجلسة التي كانت ممتعة لكليهما شكرته بحرارة مودعةً إياه على أن تعود في اليوم التالي لأخذ الصور منه بعد طبعها . وقبل أن تغادر سألته في توجس ..

- هو مفيش حدّ ببيجي يتصور عندك؟ أنا ملاحظه إن مفيش ولا زبون دخل غيري من ساعة مانا جيت ؟!

- الاستوديو لسة فاتح جديد من شهور قليلة ، فلسة ماتعرفش اوي انما طبعنا انا ليا زباني برة المحل زي ما قولتلك إني بصور أفراح برة وباعمل فوتوسيشن للعرايس وأعياد الميلاد وكدة . انما ده ما يمنعش ان الاستوديو له زبونه حتى لو لسة قليل .

- بكرة ان شاء الله هاتبقى مش ملاحق علي الزباين

- إن شاء الله

خرجت يسرا من عنده وهي سعيدة سعادة لا تدري سببها كل ماتدريه أنها أخيراً فعلت شيئاً مختلفاً غير انتظار اتصال أو رسالة على هاتفها من أحمد زوجها يخبرها أنه يفتقدها قائلاً لها بعض الكلمات المصبرة التي ملّت سماعها مثل معلى استحملي ، هانت خلاص ، كل ده عشان مستقبلنا ، هي لا تفكر في هذه الكلمات الآن، أصبح هناك أشياء أخرى جعلتها تنشغل عن التفكير في أحمد وهو الشيء ذاته الذي جعلها تخرج من وحدتها الموحشة التي كادت أن تفتلها الشغف.

ما أحلى الرجوع إليه

فزعت حنان حين فتحت باب شقتها وولجت إلى داخلها فوجدت مجدي جالساً على الأريكة بالصلاة وعيناه معلقتان على الباب ..

- بسم الله الرحمن الرحيم ، مجدي ! إنت ايه اللي رجعت بدري ؟ مش عوايدك ترجع في الميعاد دة ؟

- ايه؟ ماكونتنيش عايزاني آجي دلوقتي ولا ايه؟

- ايه اللي انت بتقوله دة؟ لأ طبعاً أنا مش قصدي كدة انا بس مستغربة

- بصي في ايدك كدة شوفي الساعة كام؟

تنظر حنان في ساعتها ثم تجيب ..

- الساعة 12

- مش غريبة انك تكوني برة البيت في الميعاد دة؟ انتي عادةً بتودي مهند الحضانة الساعة عشرة وبترجعي الساعة عشرة ونص، كنتي فين بقي الساعة ونص دول؟!

ترتبك من سؤاله الذي يشي بشكته فيها ..

- قصدك ايه من السؤال ده ؟ هاكون فين يعني؟ عديت على ابويا قعدت معاه شوية فيها حاجة دي ؟

- لأ ما فيهاش حاجة بس اللي اعرفه انك بتروحي لابوكي كل خميس وجمعة، والنهاردة الاتنين

يعني احنا في وسط الاسبوع !

- في ايه يامجدي؟ هو تحقيق؟

- ايه؟ مش من حقي اسأل مراتي كانت فين ؟

- مش بالطريقة دي ، دانتي زي ماتكون بتستجوبني مش مجرد سؤال عادي

- ماهو لما الاقي أحوالك متغيرة لازم اسأل واحقق

- احوالي متغيرة ازاي يعني ؟ مش فاهمة

- يعني مثلاً راجعة من برة وانتي على سنجة عشرة وحاطة ماكياج كامل ، من امتي وانتي بتحطي

ماكياج ياحنان انا اعرف انك مش بتحبي المكياج وانتي بسم الله ماشاء الله جمالك طبيعي ومش

محتاجة زينة اصلاً

- وهو حرام ولا عيب ، عادي حبيت اجرب واحط زي باقي الستات فيها ايه دي كمان ؟

- انا اللي باسألك ماترديش على سؤالي بسؤال

- جراك ايه يامجدي، انت عمرك ماكلمتني بالطريقة دي ، كل دة عشان خرجت افك عن نفسي

شوية بدل الحبسة اللي انا فيها طول النهار! مش كفاية انت مش بتخرجني؟ يعني لا بترحم ولا

بتسيب رحمة ربنا تنزل؟!

ينهض مجدي منفعلاً لكنه قبل أن يرد عليها فاجأه الألم في مقدمة رأسه فخذلته ساقاه وهوى على الأريكة قابضاً بأصابع يده على مقدمة متأوها ..

- آه

تركض حنان نحوه فزعة محاولةً إسناده ..

- يالهوي ، مالك يامجدي ؟ مالك ياخويا فيك ايه ؟
- ناوليني كوباية مية وبرشامة للصداع لو سمحتي ياحنان
- حاضر ياخويا من عينيا

تتجه مسرعةً تجاه المطبخ تحضر له كوب ماء وتخرج من حقيبتها شريط برشام مسكن للألام وتناوله إياهما متلهفةً ..

- اتفضل يا حبيبي ألف سلامة عليك

يلقي مجدي البرشامة في فمه ويرتشف رشفتين من الماء ثم يناولها الكوب ، فتضعه على المنضدة وتجس مقدمة رأسه

- ايه دة ؟ انت راسك دافية انت عيان ولا ايه ؟
- تعبان ودايخ والصداع هايفرتك دماغي عشان كدة رجعت بدري من الشغل استأذنت من المدير وجيت، ولغيت كمان الحصص في السنتر .
- سلامتك يا حبيبي، ماهو انت برضو مش راحم نفسك في الشغل ، يا حبيبي ان لبدنك عليك حق ، عموماً تعال اتسند عليا ادخلك اوضة النوم ريح شوية على السرير على ما احضرك لقمة كويسة ترم بيها عضمك .

يستند على كتفها وتلف هي يدها حول خصره حتى تدخله الغرفة تجلسه على السرير وتخلع عنه نعليه، وتمدده على ظهره وتشد عليه الغطاء ..

- ساعة واحدة والأكل يكون جاهز

وبينما تهم بالخروج من الغرفة ناداها ..

- حنان
- نعم ياخويا
- حقك عليا ، انا اتعصبت عليك بس غصب عني ، لما رجعت البيت ومالقتكيش اتخنقت مش متعود اني ارجع ومالقتكيش ، البيت كان وحش اوي من غيرك يا حبيبي

جلست حنان على طرف السرير وابتسمت ابتسامتها الرائقة وهي تربت على صدره ..

- ياخويا لو العيا هايلخلك تقولي كلام حلو زهي ده يبقى اعياء كل يوم بقى

- انا عارف اني مقصر في حقك بس غصب عني يا حبيبتى انتي عارفة ظروف شغلي والبيت وطلباته اللي مابتخلصش انا لو رقدت يوم ولآ جرافي حاجة يمكن ما تلاقوش تاكلوا انتي ومهند
- بعد الشر عليك ربنا يخليك لينا ومايرقدك أبداً يارب ، هاقوم انا اعملك لقمة بسرعة
- لأ مش عايز اكل ، خليكى جنبي انا محتاجك قوي

ثم مد ذراعيه ليحتضنها فاحتضنته بدورها ..

- ياااه يامجدي ، تعرف بقالك قد ايه ماحضنتنتيش الحزن ده ؟!
- خلاص يا حبيبتى من هنا ورايح مش هاحرمك من حضني أبداً ولا هاحرم نفسي من حضنك، ده هو المكان الوحيد اللي برتاح فيه

ثم نظر في عينيها نظرة شوق لا يمكن لامرأة مثل حنان تجاهلها ، فقترب أكثر منها وقرب وجهها لوجهه وطبع قبلة طويلة على شفثيها، ثم عاد واحتضنها بقوة

نسى مجدي تعبته في حضن زوجته ، وكان حضنها هو العلاج الموصوف له من قبل الطبيب للشفاء من كل آلامه، شعر في اللحظة أن درجة حرارته المرتفعة قد انخفضت وعادت لمعدلها الطبيعي لمجرد أن دفن رأسه في صدر "حنوته" مثلما يحب أن يلقيها وكأنه لم يكن مريضاً منذ لحظات، وكأنه طفل يتحجج بالمرض كي يفوز بتدليل أمه وتفرط في تدليله ، كم كانت تشتاق هي أيضاً لحضنه ، للمساته ، لهمساته ، لأصابع يده وهي تمر بكل منحنيات جسدها الذي كاد أن ينسى بصماته ، ذابت فيه كما تذوب قطة البسكويت في فنجان الشاي الساخن ، انصهرت فيه كما تنصهر قطعة الحديد في لهيب النار المشتعلة ، تركت له نفسها وكأنه يلمسها للمرة الأولى في حياتهما ، وكان الخمس سنوات التي مرت على زواجهما كانت حلماً أو خيالاً ، فبرغم علاقتها بشريف يبقى مجدي هو حبه الأول بل الأوحده، حبه الحقيقي ورجلها الشرعي الذي لا تشعر في حضنه بتأنيب الضمير أو بارتكاب إثم .

بدا في ذلك الوقت كما لو أنها تكتشفه من جديد، بل وتكتشف نفسها من جديد ، تركت نفسها عارية أمامه دون خجل أو خوف، كلما مرر أصابعه على جزء من جسدها تتفجر ينابيع أنوثتها الفائرة الثائرة بين يديه، اشتاقت لأنوثتها معه واشتاق هو لرجولته معها، نامت بين يديه كعصفور صغير ضل عش أمه ثم عاد بعد أيام من الضياع والتيه والحرمان .

**طَرَقَ الحبَّ بابي .. كيف أردده !؟**

في اليوم التالي فوجئت يسرا بطرقات على باب شقتها في وقت الظهيرة، أرهفت السمع لتتأكد من أن ما سمعته صحيح؛ حين تكرر الطرق فزعت وتساءلت .. ما عساها تكون تلك الطرقات؟ هي لم تعتاد زيارة أحد لها بالمنزل، رفعت صوتها من بعيد فهي لازالت مستلقية على سريرها ..

- مين؟

لم يأتيها رد ، فنهضت من على سريرها وخرجت من غرفتها ووقفت بمن منتصف الصلاة وكررت..

- مين بيخبط؟

لم يأتيها رد أيضاً ، فتوجهت إلى باب الشقة ونظرت من العين السحرية واندحشت لما رأت

- حازم؟ وده ايه اللي جابه هنا ؟ غريبة !

ارتدت روباً فوق ملابس نومها وفتحت الباب ..

- حازم؟!

- صباح الخير يايسرا، أنا أسف اني جيتلك بيتك ، انا أصلي لما لقيتك ماجتيش استلمتي صورك

قلت آجي اجيبهولك بنفسي .

- لأ أصلي بصحى متأخر من النوم ، وبعدين كنت ناوية أعدي عليك بالليل في الاستوديو أخذهم

منك، على العموم انا متشكرة جداً لتعبك

كانت تحدته وهي مرتبكة خشية أن يراه أحد من الجيران وهو يتحدث معها على باب شقتها، لذا كانت تريد أن تنهي حديثها معه سريعاً حتى ينصرف قبل أن يراه أحد، ارتباكها وتوترها جعلها لم تلمح ذاك القفص الحديدي الصغير الذي يحمله حازم في يده ، والذي رفعه أمام عينيها قائلاً ..

- اتفضلي هدية عيد ميلادك كل سنة وانتي طيبة

- الله، ايه القط الجميل دة ؟ انت عرفت ازاي اني باحب القطط؟ وكمان عرفت عيد ميلادي ازاي؟

- عرفت عيد ميلادك ازاي دي سهلة ، عرفته من الفيس بوك ، انما عرفت انك بتحبي القطط ازاي

فدة لأن طبيعي إن إنسانة رقيقة زيك أكيد بتحب القطط والحيوانات الأليفة

- ميرسي يا حازم ، كلك ذوق بجد، عموماً وانت طيب وهدية مقبولة

مدت يدها وتناولت منه قفص القط ، ثم أخرج حازم من جيبه مظروفاً أبيض قائلاً ..

- دي صورك ومعها سي دي جمعتلك عليه كل الصور اللي صورتها لك وعملتلك ليها مونتاج

بالأغاني اللي بتحبيها يارب تعجبك.

تناولت منه المظروف شاكرة إياه ومعتذرة ..

- كمان؟ دة كتير عليا والله بس مكانش في داعي تتعب نفسك ، عموماً انا متشكرة جداً بس انا أسفة

مش قادرة أقولك اتفضل عشان زي مانت الحظرف انا عايشة لوحدي و ...

- ماتشغليش بالك انا اصلاً كنت ماشي ، وانا اللي أسف اني جيتلك فجأة ، بعد إذناك .

غادر حازم وشعرت يسرا أنها أخرجته بطريقته الجافة معه في الوقت الذي يتعامل هو معها بلطف شديد ، ولكنها لا تملك سوى أن تعامله بتلك المعاملة، فكيف تسمح لنفسها بدخول رجل غريب إلى بيتها ، أغلقت الباب خلفه وأخرجت القط من صندوقه الحديدي ، وأخذت تداعبه وتربت على ظهره وتملس على شعره بيدها، كان قطاً لطيفاً يبدو من صغر حجمه أن عمره لا يتعدى شهرين فهي خبيرة في أعمار القطط لأنها اعتادت أن تقوم بتربيتهم قبل زواجها، وانتبهت في تلك اللحظة أنها لم تفكر في اقتناء قط يؤنس وحدتها بعد زواجها وتعجبت من ذلك ، كان لون القط مشمشياً فاتخذت يسرا من لونه اسماً دعته به "مشمش" حملته برفق وأطعمته وحممته وجففته بمنشفة ناعمة خصصتها من تلك اللحظة له ، ثم أدفنته في حضنها لينام على ذراعها كطفل جميل، مما جعلها تتعلق به وتحبه وكأنه وليدها الذي جاءها بعد طول انتظار ، بعد أن غط قطها اللطيف في النوم ، أحضرت جهاز اللاب توب وأدخلت فيه الاسطوانة التي أهداها حازم لها ، رق قلبها فور سماعها صوت كاظم الساهر ينبعث من داخل الاسطوانة وصورها تتراقص مع عذوبة صوته وألحانه وكلمات نزار قباني التي تعشقها : أنتِ امرأةٌ لا أحسبها بالسنين وبالأعوام، تركتُ في الصحراء قافلتي، أبحث في عينيكِ عن ذاتي. كانت تلك المقاطع من أغاني كاظم وأشعار نزار كفييلة بأن تذيب يسرا ذوباناً مع كل حرف وكل نغمة وكل إيماءة من إيماءاتها في الصور التي صحبت تلك الأغاني والتي من فرط سعادتها بها ظلت تعيد مشاهدتها مرات ومرات وكأنها لأول مرة ترى نفسها جميلة ، لكن قفز سؤال في مخيلتها ظل يلح عليها .. من أين عرف كل هذه التفاصيل عنها؟ حبها للقطط وحبها لأشعار نزار ولصوت كاظم ، من أين عرف عيد ميلادها؟ من فيس بوك فعلاً كما أخبرها أم من مصدر آخر وماهو هذا المصدر إن وُجد؟! لكنها على أية حال طردت كل الهواجس والتساؤلات من مخيلتها حتى لا تفسد عليها نشوتها بكل ما يفعله معها حازم كي يسعددها، لكم كانت تفتقد إلى هذا الاهتمام وهذه السعادة !.

بعض البشر لا يشعرون بالنعمة التي بين  
أيديهم إلا إذا زالت عنهم !

طموح أحمد وذكاؤه ودأبه في العمل جعله يصل إلى مكانة رفيعة في عمله في وقت قصير ، هذه المكانة وهذا التميز جعله ينسى أن له زوجة في مصر تعيش وحيدة تنتظره أن ينفذ وعده لها بأن يعود، لكن سرقة عجلة الزمن، جذبته ظلمة البترول، وبريمة الحفر، دار مع تروسها التي لا ترحم، وكلما حاول التملص منها جذبته ودهسته بين فكيتها المفترسين، تلك هي الغربة يشتهيها الناظر إليها من بعيد وحين يقترب منها تسحبها لداخلها، ومتى دخلها فرمته في مفرمتها التي لا ترحم - ويظل ينتقل من ترس إلى ترس ومن رافعة إلى رافعة حتى ينتهي به العمر وتطويه السنون ويكتشف أنه ظل وحيداً وبعيداً لسنوات فإما أن يعود لوطنه راقداً في نعشه، أو ميتاً على قيد الحياة بعد أن قد أكلت الغربة شبابه وصحته وأفقدته أهله وأصدقائه .

أفاق أحمد من غيبوبة طموحه على طلب يسرا الطلاق، هاتفته ذات يوم وهي تملك كل مقومات الثبات الانفعالي وصوتها الواثق ونبرته الحادة تشي بأنها قد اتخذت قرارها النهائي ولا رجعة فيه !.

- بتقولي ايه؟ انتي اتجننتي؟ هو ده اللي اتفقنا عليه ؟ انك تتحملي وتصبري زي مانا متحمل وصابر لحد مانكون مستقبلنا ومستقبل عيالنا اللي هانجيهم في المستقبل وبعدها هانكون مع بعض طول العمر !
- لا يابشمهندس احنا اتفقنا كان ثلاث أربع شهور أو حتى سنة بالكثير مش سنتين وانا استحملت بما فيه الكفاية وخلص تعبت ومعنديش استعداد استناك تاني اكثر من كدة .
- اهدي يا يسرا دي ساعة شيطان، استغفري ربنا واستهدي بالله ، خلاص هانت .
- خلاص هانت خلاص هانت ، من سنتين وانت بتقول لي نفس الجملة ، عموماً مابقالوش لزمة الكلام ده، دة قراري النهائي ومش هارجع فيه .
- اهلك عارفين الكلام ده؟ عمك ومامتك واخوانك عارفين انك عايزة تطلقي؟
- أهلي مالهومش دعوة ، دي حياتي انا، وانا حرة في قراري
- يسرا يا حبيبتي انا بحبك، انا عارف انك تعبتي وانك .....
- ارجوك يا احمد مفيش داعي لأي كلام زيادة لا هايقدم ولا هايأخر ، انا هاستنى منك ورقة الطلاق في اسرع وقت ، وياريت الطلاق يحصل بهدوء من غير شوشرة عشان ما أضطرش الجأ للمحاكم والقواضي .

قالت جملتها الأخيرة وانتهت المكالمة دون انتظار رد من احمد وحتى دون أن تقول "سلام"، لازل أحمد ممسكاً بسماعة الهاتف ، جعلته الصدمة مشوش التفكير ، وضع السماعة أخيراً وجلس يفكر في هذه المكالمة التي كانت بمثابة ناقوس الخطر الذي سقط بعنف على رأسه فأفاقته من غيبوبة دامت لعامين ، تساءل ..

- تُرى ما الذي جرى ليسرا؟ ما دهاها؟ هل أخطأت حين سافرتُ وتركتها وحيدة؟ ألم أسافر من أجلها؟ من أجلنا نحن الاثنين ومن أجل مستقبلنا سوياً؟! ولكي أوفر لها حياة كريمة تستحقها؟ أعلم أنني تأخرت عنها كثيراً وأخلفت وعدي لها مراراً، ولكنني فعلت ذلك لأجلها ، لا ياباشمهندس لا تضحك على نفسك ، انت تركتها لتحقق طموحك الشخصي ، تريد أن تجمع ثروة متناسياً أن لك زوجة لها عليك واجبات، تركتها وأطلت غيابك عنها وكأنك تعاقبها كانت سبباً في أنك لم تصبح معيداً بالجامعة كما كنت تحلم وتريد، أفق من غفلتك، لم يكن حبكما هو السبب كما تحاول أن تقنع

نفسك، كن شجاعاً ولو لمرة واحدة واعترف أنك أنت المخطيء، أخطأت حين كنت تترك محاضراتك بالجامعة لتجلس معها في كافيتيريا الجامعة أو الخروج معها للتسكع في الشوارع بالرغم من نصائحها المتكررة لك بأن تلتفت إلى دروسك وبالالتزام بحضور محاضراتك حتى لا تكون هي السبب في ضياع حلمك وكأنها كانت تعلم أن تلك اللحظة ستأتي، سيأتي اليوم الذي تحملها هي فيه نتيجة تقصيرك، أخطأت أيضاً حين اتخذت قرار سفرك رغماً عنها وتركتها في القاهرة وحيدة، القاهرة تلك الهوة السحيقة التي تبتلع أعتى الرجال وأجلدهم فما بالك بامرأة وحيدة تفتقد إلى أقرب الناس إليها تفتقد زوجها، طموحك وغرورك صور لك أنها مجرد آلة كتلك الآلات الجافة التي تتعامل معها، كل ما تحتاجه منك هو المال والهدايا الباهظة التي ترسلها لها من وراء الجبال وحقول البترول وكأنك بذلك تسكت ضميرك الذي إذا ما حاول تنبيهك للخطأ الذي تفعله أرحتة بتلك الأموال والهدايا ، نسيت أو تناسيت أنها امرأتك التي تحتاج إلى وجودك لا إلى أموالك، تحتاج إلى دفء حضنك لا إلى برودة هداياك .

ما بالك صعقت اليوم من طلبها للطلاق؟! طبعاً لأنك لم تكن تتوقعه، كنت دائم الثقة في بقائها مهما لاقت منك من إهمال وهجر وفراق ! من قال لك أن المرأة تُملك؟ من أوهمك أن النساء مفتنيات؟ تضعها بين أشيائك الثمينة تعلق عليها خزينتك لتعود بعد سنوات الجفاء متوقفاً أن تجدها كما تركتها مملوئة بالحيوية واللمعان والجمال !

كفاك خداعاً لنفسك، كفاك إيهام ذاتك بأن مات فعله تفعله لأجلها، كفاك إلقاء اللوم على غيرك في تقصيرك وفي إهمالك، قم اجمع ما تبقى من أشلاء الحب واحمله في حقائبك وعد من حيث جئت عساك تستطيع انقاذ ما يمكن انقاذه ، عدو ارتشف رحيق زوجتك قبل أن يرتشفه غيرك أو قبل أن يجف ولا يبقى لك حينها إلا الندم والحسرة .

قم مزق هذا العقد اللعين الذي يقيدك من عنقك ويقودك إلى حيث يريد رب المال والبترول ، تذكر القول الشهير ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟! قم الآن وليس غداً أو بعد غد ، قم ولا تعد مرة أخرى إلى هذه الساقية التي عصبت عينيك كثور يلف حولها حاجبة عنك النور الذي حرمت منه طيلة عامين .

**ليس كل ما يلمع ذهباً !**

اليوم مبهج والشمس ساطعة والعصافير تغني، والكون يعزف أعذب الألحان احتفاءً بعصفورين عاشقين يحلقان في سعادة هنا وهناك ، يتفافزان من غصن إلى غصن على شجيرات العشق المنتشرة في كل أرجاء الحديقة ، تتراقص من حولهما الفراشات بألوانها الخلابية، وبين الحين والآخر تقف على الأزهار الحمراء والبيضاء والصفراء تمتص رحيقها وكأنها تضع قبلة على شفاه الزهر المتفتح ، وسعف النخيل يتعانق والسماء ترسم قوسها القزحي على وجهيهما وكأنها تكلمهما بإكليل الحب الأبدي .!

كان كل شيء حولهما يشدو ولم يكن يدران بالتحديد ، هل يحتفي العالم بهما أم أنهما من فرط سعادتهما خيل إليهما أن الكون كله صار جميلاً؟! هكذا هو الحب حين يلمس شغاف قلوبنا تصبح قلوبنا أكثر رقة بالدرجة التي معها نرى أشياء قد لا يراها غيرنا نحن العاشقون، ونشعر بمشاعر قد لا يشعر بها الناس العاديون أو الذين حرموا من نعمة الحب ولذته أو حتى لم نشعر بها أنفسنا قبل ان يمسننا العشق .

لم يصدق مينا أن ماري قد أصبحت ملكاً له، أو هكذا تصور لأنه كلما حاول أن يعيش هذا الشعور بالامتلاك وتأخذه غيبوبة النشوة حتى يفيق على كلمات ماري الصاعقة التي كانت تقذفها في وجهه كالرصاص .

- لسه يامينا، احنا يادوب مخطوبين ، ماتنساش
- ياحببتي مش ناسي بس انا بحبك يامرمر، وماصدقت اننا بقينا لبعض حتى لو كانت لسه خطوبه ده مايمنعش اني نفسي أدوق شهد شفائك النونودي
- وما يلبث أن يمرر أصابعه على شفتيها حتى تنتفض كالمدوغه ..

- مينا من فضلك، أنا مابحش الحاجات دي ، اصبر لما نتجوز ابقى اعمل اللي انت عاوزه ، وبعدين خلي بالك الناس حوالينا
- طيب إيه رأيك نغير المكان؟ نروح مكان أهدا وأروق من كدة، أنا نفسي ابقى معاكي على راحتنا ياقلبي
- وهو في مكان أهدا ولا أروق من كدة؟ دي حتى الجنينة هادية والناس اللي فيها مش كثير
- لأ أنا قصدي نروح مكان نكون فيه أنا وانتي لوحدنا
- آه تقصد بيتنا يعني؟ عندك حق بيتنا أهدى من هنا ومش هايكون معانا غير ماما
- بيتكم ايه بس يامرمر؟! افهميني ياحببتي ، انا اقصد بيتنا احنا الاتنين ، بيت الزوجية بتاعنا أنا وانتي
- بيتنا احنا الاتنين؟ تقصد شقتك؟!!
- ايوه ياقلبي شقتي ، ايه رأيك؟ مش بدمتك احسن؟

يتناول يدها في هدوء ويطلع قبلة رقيقة على ظهرها، تسحبها منه ماري فور سماعها كلمة "شقتي"

- إنت بتقول إيه يامينا؟ عايزني أروح معاك شقتك لوحدنا؟!!

- اولاً ما اسمهاش شفتك .. اسمها شفتنا، يعني بيتنا احنا الاتنين ، وبعدين ماهو انتي طبيعي هاتيحي الشقة عشان تشوفيها عشان تفرشيها على ذوقك وتختاري انتي بنفسك ديكوراتها ، مش برضو من حكك تفرشي شفتك على ذوقك يا عروستي الجميله .

مسح ببطن يده على شعرها محاولاً طمأنتها والتأثير عليها لتوافق على طلبه

- أيوه لما آجي أفرش الشقة ساعتها ماما هاتكون معايا .. مش نبقي أنا وانت لوحدينا  
- يامرمر يا حبيبتي فكيف شويه انتي كأنك مش عايشة معانا على الأرض ، كأنك عايشة لوحدهك في كوكب تاني ، هو في بنات دلوقتي بتفكر بطريقتك دي! ولا انتي لسه صغيره عشان تحتاجي ماما معاك تاخذك من ايديك وتروح بيكي أي مكان  
- مش مسأله صغيره يا حبيبتي ، بس الأصول بتقول كده  
- الله على كلمة حبيبتي طالعة من بين شفائك زي الشهد

يحاول أن يلمس شفيتها بأصابعه ، فتنتهره ..

- وبعدين يا مينا !

فيتطرد خوفاً من غضبها ..

- اوكي يا حبيبتي ، بس احنا هانعمل ايه ضد الأصول؟ ثم معنى ردك ده إنك مش واثقة فيا  
- لأ طبعاً ، أكيد انا بثق فيك وإلا مكو ننتش أتخطبتك أصلاً ولا حتى كنت خرجت معاك لوحدها ، ولا انت يعني عايز تسمعها مني كل شويه  
- هي ايه دي ؟

تطرق رأسها في الأرض خجلاً ..

- اني .. اني بحبك وبثق فيك  
- الله الله عليك يا روح قلبي لما بتبقي رايقه وتقولي بحبك وانتي خجلانة وزوي القمر كده، عايزك بقى تثبتيلي حبك ده وثق فيا اللي انتي لسه قايلالي عليهم ، وأنا وحياتك عمري ما هاعمل حاجة تزعلك مني ابداً .  
- وعد؟  
- وعد

وضع يده على صدره كأنه يتلو قسماً ويرجوها أن تصدقه ، حتى لانته ملامح ماري وما كان أمامها بعد إلحاح مينا إلا أن وافقت على طلبه أخيراً ..

- حاضر يامينا هاروح معاك شفتك ، عشان بس أثبتلك قد إيه أنا بحبك وبثق فيك ، بس اوعدني تاني انك تقعد بأدبك وماتحاولش تعمل حاجة تضايقتي وإلا .....  
- من غير وإلا ، دانا اشيلك في عينا يانور عينيا

قالها مينا وفي عينيه لمعة نشوة سعادة من حصل على أمنية طال انتظارها .  
فقال له مهددةً في دعابة ..

- طيب يلا بينا قبل ما أرجع في كلامي وأغير رأيي .

\*\*\*\*\*

عند باب شفته ترددت كثيراً بالدرجة التي معها أطالت الوقوف على عتبته ، فقال لها مينا مطمئناً ..

- اتفضلني يا حبيبتي، انتي لسة مش مطمئالي؟

- لا ابدأ بس اصل ....

- اصل ايه بس تعالي ماتخافيش

سحبها من يدها برفق إلى داخل الشقة، دخلت معه وعينها تسبق قدميها تتفحص المكان بعناية ، كانت شقة مينا منظمة ومرتبّة بشكل مريح للعين ، مرت في بداية الشقة ببهو كبير بمرآة دون مقعد على يمين الشقة ، يتبعها ريسيبشن كبير ، ثم صالون مذهب يبدو عليه الفخامة والرقي ، وهو الذي استقرا فيه مينا وماري .

- الله يامينا ذوقك حلو اوي ، شفتك تجنن

- ولسة يا حبيبتي لما هاتفرشيها انتي على ذوقك هاتبقى احلى واشيك من كدة بكثير ، اتفضلني

استريحني وانا ثواني وهاجيلك

- رايح فين؟

- هاعملنا حاجة نشربها، وراجعلك حالاً

قال جملة الأخيرة وهو يقوم بخلع البليزر المخملي كحلي اللون ووضع حوله رأس المقعد المذهب وسار بقميصه الأبيض الحريري وبنطاله الجينز الكحلي في اتجاه المطبخ ، تذكرت ماري المرة الأولى التي رآته فيها بقميصه المقلم ذو الأكمال القصيرة وفتح زري قميصه الأماميين وتذكرت كيف كان أنيقاً جذاباً، لكنه الآن أكثر أناقة وجاذبية عن تلك المرة، يعرف كيف ينتقي ملابس بعناية مدروسة تظهر رشاقة قوامه وقوته البدنية في أن.

- بسرعة طيب يامينا عشان ماتأخرش على مامي وماتقلقش عليا

أناها صوته من بعيد ..

- من عينيا يا حبيبتي ، هوا

جلست ماري تتلفت حولها مبهورة بأناقة المكان والذي لا يقل أناقة عن صاحبه ، لفت نظرها شيئاً ملقى على الأرض ، دقت النظر فيها من بعيد وجدتها البطاقة الشخصية لمينا ، تناولتها من على الأرض وقربتها إلى عينها ، كادت تهم بمناداة مينا لتخبره أن بطاقته سقطت منه على الأرض، ولكن ما رآته في البطاقة شل حبالها الصوتية ، لم يكن في البطاقة التي عليها صورة مينا لم يكن فيها اسمه هو بل اسم شخص اخر ،

كان الاسم بالبطاقة هو (حسام عبد الرحمن محمد السيد) ، جحظت عيناها من هول الصدمة ، ظلت تنظر للاسم أكثر من مرة في محاولة منها التأكد من أن ما رأته صحيحاً ، وتساءلت ..

- ازاي؟ يعني ايه؟ يعني مينا مش مينا؟ يادي المصيبة !

أفاقت من شرودها على صوته الذي أتاها من عمق المطبخ

- بييسي ولا فانتا يا حبيبيتي ؟

في حركة سريعة ألقَت بالبطاقة على الأرض في مكانها وحاولت أن تخفي صدمتها مما اكتشفته للتو، في هذه الأثناء خرج مينا من المطبخ حاملاً صينية من الإستانلس عليها اثنتين من علب المياه الغازية الصغيرة (كانز) .

- عمال اسألك عايزة تشربي ايه، ولما ماردتيش جبترك فانتا بقى على ذوقي طالما انك بتحبي ذوقي ، اتفضلي ،

أمسك زجاجة المياه الغازية وقربها إليها ولكنها انتفضت واقفة دون أن تمد يدها لتتناول الزجاجة وكانت ساهمة ويبدو على ملامحها التغير ..

- انا لازم امشي

- برضو يا مرمم لسة خايفة مني؟ يا حبيبيتي احنا هانشرب الحاجة الساعة بسرعة وهاوصلك لحد البيت ماتقلقيش

تحشرج صوتها قبل أن تنطق

- لأ معلش اصل ماما كلمتني حالاً وقالتلي انها تعبت فجأة ، سلام

ركضت نحو باب الشقة وسط اندهاش مينا ، فتحت الباب وخرجت مسرعة

- طيب استني أوصلك ، مرمم .. مرمم

لم تستجب لنداءه وفي ثوان معدودة كانت قد وصلت إلى باب العمارة واستقلت سيارة أجرة حتى باب بيتها .

# البعيد عن العين

تعلقت يسرا بحازم كما تعلقت بقطه "شمش"، وتعددت اللقاءات والمهاتفات التليفونية والمحادثات الاليكترونية بينهما ، أدمنته، أصبح بالنسبة لها كالهواء الذي تنتنفسه ، بات هو كل حياتها ، أول شيء تفعله كل ظهيرة عند استيقاظها هو مهاتفته إذا لم يسبق هو وهاتفها ليكون صوته هو أول صوت تسمعه في يومها، ونفس الشيء تفعله قبل نومها، ثم تأخذ قطه في حضنها وتنام .

مر على علاقتهما قرابة شهر شعرت خلال أيامه القليلة أن حياتها تلونت بألوان أكثر بهجة واشراقاً ، عرفت للحياة ألواناً أخرى غير الأبيض والأسود ، ألواناً زاهية على عكس ألوان شرائطها من النيجاتيف ذات الألوان الباهتة والملاح المبهمة الغير واضحة ، تطورت علاقتها بحازم بالدرجة التي معها نسيت أنها امرأة متزوجة ، تذهب معه للسينما ، أو للجلوس في الحدائق العامة الهادئة ، تتناول معه الغداء أو العشاء في مكان شاعري رومانسي على موسيقى ناعمة، يتراقصان وجسداهما متلاصقان وأنفاسهما تتمازج وعيونهما تتحدث دون كلام وأيديهما تتشابك ليسري دفء كل منهما إلى الآخر و يعلن شوقه له دون البوح بذلك .

في يوم من الأيام ووسط كل تلك النشوة، اختفى حازم تماماً ، لم يعد يهاتفها مثلما اعتاد ولا حتى يرد على مهاتفاتها له ، حتى صفحته الشخصية على فيس بوك لم يعد يظهر عليها اطلاقاً أو على أي برنامج من برامج المحادثات الاليكترونية ، وكأن الأرض انشقت وابتلعتة ، انزعجت يسرا من اختفائه المفاجئ ، وتساءلت .. ما عسى أن يكون سبب اختفائه ، وبعد طول تفكير وانتظار وترقب اتخذت قرارها وذهبت إليه في استوديو التصوير الخاص به، ولكنها فوجئت بغلقه، حاولت مهاتفته للمرة المائة لكن النتيجة كالمرات السابقة، وجدت هاتفه مغلقاً ، بدون تردد ذهبت إليه في شفته ، ضغطت زر جرس الباب عدة مرات دون استجابة ، وحين قررت المغادرة في اللحظة الأخيرة فُتح الباب ، وجدته أمامها في حالة إعياء ، فزعت من منظره ووجهه الذي بدا شاحباً وعينييه المفتوحة نصف فتحة وأنفه المصطبغ باللون الأحمر كل ذلك يشي بأنه مريض منذ عدة أيام ، كاد أن يسقط على الأرض لولا أنها تعلقته في حضنها ..

- حازم ! مالك يا حبيبي في ايه؟

ودون أن تنتظر إجابة منه أسندته على كتفها وسارت به حتى أوصلته إلى كنبه الأنتريه في الصالة ومددته عليها ، جست جبهته ووجنتيه فوجدتهما بحرارتهم الطبيعية، فطمأنها قائلاً..

- ما تقلقيش يا حبيبيتي أنا كويس

- ما اقلقيش ازاى بس ؟ دانتي لونك مخطوف وباين عليك التعب

- ده دور برد عادي بس ثقيل شوية، أنا متعود أخده كل سنة في نفس الميعاد ، هايأخذ وقته ويروح

ماتخافيش

- انت ماروحتش لدكتور؟

- هاروح لدكتور ازاى وأنا أصلاً مش قادر أقوم من على السرير !؟

- طيب قوم معايا هاوَدِيك للدكتور انا معايا عربيتي تحت العمارة

- لا لا مش مستاهلة دكاترة ، دول شوية برد وهايروحوا لحالهم، أنا جايب العلاج وباخده بانتظام وكلها يومين ثلاثة وHخف ، انا متعود على كدة
  - عشان كدة انت مش باين بقالك كام يوم وانا كنت هاموت من القلق عليك ، خوفت لا بعد الشر يكون جراللك حاجة
  - يعني لو جرالي حاجة هاتزعلي عليا يابيسرا؟
- وضعت يدها على فمه لتسكته حتى لا يتفوه بمثل هذا الكلام

- بعد الشر عنك يا حبيبي ماتقولش كدة ، انت مش عارف انت بقيت إيه بالنسبة ليا

قَبَل يدها التي لازالت على فمه ..

- بقيت إيه بالنسبة لك يا عمري ؟

- بطل شقاوة بقى مش وقته

قالتها محاولةً الهرب من خجلها، ثم أردفت ..

- بس انت الحمد لله حرارتك طبيعية مفيش سخونة

- لا مانا لسة واخذ دوا خافض للحرارة من شوية ويادوب بدأ مفعوله يشتغل

- طيب تحب اعملك حاجة دافية تشربها ؟

- مش عايز اتعبك معايا، كفاية مجّيك لحد هنا عشان تسألني عليا .

- تعبني إيه بس يا حبيبي، انا هاقوم اعملك كوباية لمون دافي مع الشاي ، اللمون حلو جدا للبرد

هايخليك تخف بسرعة وتقوم زي الحصان

تركته وتوجهت إلى المطبخ ، أدارت السخان الكهربائي (الكاتيل) وفي ثوان معدودة كانت قد وصلت درجة حرارة الماء للغليان كانت قد وضعت خلالها الشاي والسكر في الكوب وبينما تمد ذراعها لتمسك بالسخان سبقتها ذراع قوية لتمسك بيدها، بينما التفت الذراع الأخرى حول خصرها باستماتة ، انتفضت يسرا وشهقت في فزع ثم التفتت واستدارت لتفاجأ بحازم يحاول تقبيلها، وبدا بكامل صحته وعنفوانه على عكس ما بدا عليه منذ لحظات

- حازم ؟ ايه دة ؟ انت اتجننت ؟ ايه اللي بتعمله دة؟

- وحشتيني، وحشتيني اوي

- معقولة اللي انا شايفاه دة؟ يعني انت مش عيان ولا حاجة ، والتمثيلية دي انت عملتها عشان

اجيلك لحد هنا !

- غصب عني يا حبيبي، غصب عني، لما لقيتك مصرة ماتقابليش في شقتي في الوقت اللي هاموت

عليكي ونفسي المسك مالمقتش قدامي غير الحيلة دي عشان أجيبك هنا ونبقى براحتنا

أبعدت يديه عنها وهي غاضبة ..

- كدة برضو يا حازم؟ معقولة انت تعمل كدة؟ تخدعني وتضحك عليا عشان أجيلك لحد عندك وتأخذ حاجة مش من حقك
- يسرا أنا بحبك
- وأنا كمان بحبك، بس مش عايزين ننسى نفسنا، أنا لسة على ذمة حمد، لما أتطلق منه ونتجوز ساعتها اكون ليك لوحديك ، إنما دلوقتي لأ يا حازم .
- وأنا مش قادر أستنى لغاية ما تطلقني يا يسرا ، مش قادر ، أنا بغلي من جوة زي المية اللي بتغلي في الكاتيل دي، ثم مين أكدلك ان احمد هايوافق يطلقك ؟

اقترب منها أكثر واحتضنها بقوة ثم أردف ..

- هو في حد عاقل يبقى معاه القمر ده ويطلقه برضو !؟
- حازم من فضلك
- من فضلك انتي يا يسرا، نفسي ألمسك ولو مرة واحدة بس وانشاء الله اموت بعدها

رق قلبها لجملته الأخيرة ، وبشكل لا إرادي وجدت نفسها تقول له ..

- بعد الشر عنك يا حبيبي
- انتي قولتيلي من شوية انت مش عارف انت بالنسبة لي إيه ، أهو انا دلوقتي هاموت واعرف انا بالنسبة لك إيه ؟

قرب شفثيه من شفثيها ويدها تعانقها بمزيج رائع من الحنان والقوة ، وبعد أن كانت تبذل أقصى جهدها في مقاومته ومقاومة شعورها الداخلي المُلح باحتياجها الأنتوي لرجولته ، تركت له نفسها، واستسلمت له دون أدنى مقاومة .

**الحب وحده لا يكفي**

مر يومان على ما اكتشفته ماري ، أن مينا ليس مينا ، وأن الشخص الذي أحبته وفتحت له قلبها نصاب انتحل شخصية أخرى كي يتقرب منها ويستغلها باسم الحب، اكتشفت كم كانت ساذجة حين صدقته، خدعتها أناقته ولباقته وكلامه المنمق وهيبته الساحرة، لم يخدعها هي فقط إنما خدع عائلتها ايضاً ؛ تلك العائلة التي وثقت به وخطبت له ابنتهم دون شك في أمره ودون محاولة السؤال عنه وعن أصله وفصله، خدع كاهن الكنيسة الذي عقد لهما قران الخطبة حين تأبط هو ذراعها ودخل معها إلى المذبح المقدس وتعهد أمام الله وأمام الكاهن وأمام الناس أن يراعي الله فيها ويصونها فما كان من الكاهن إلا أن بارك خطبتهما وتلى عليهما صلاة الخطبة المباركة .

خلال اليومين الماضيين حبست ماري نفسها في غرفتها دون طعام أو شراب لا تفعل شيئاً سوى التفكير في المصيبة التي حلت بها وبعائلتها، عندما لاحظت أمها تغيرها المفاجيء شعرت نحوها بالقلق وبدأت تسألها عن أسباب هذا التغير لكن ماري لم تجد الكلمات المناسبة لتخبر أمها بذلك الخبر الكارثي فضلت الصمت والعزلة والبكاء ، وحين ذهبت السكره و أتت الفكرة، أي بعدما مرت الصدمة واتضحت الرؤية أمامها وزال التشويش عن عقلها، بدأت في التفكير في كيفية الخروج من هذا المأزق بأقل الخسائر الممكنة ، حمدت الله أنها اكتشفت حقيقته قبل زواجها به ، لازلت الفرصة متاحة أمامها للانسحاب ، لكنها لا تريد الانسحاب بهذه البساطة .

فكرت في الانتقام منه لتتأثر لقلبها الذي ذبحه بسكين غير مسنون ، هاتفته وطلبت منه زيارته في شفته، تعجب مينا من طلبها الغريب ، وتساءل في نفسه.. ماذا جرى بالدنيا؟ هي من تطلب زيارته في بيته وهو الذي كان يرجوها بالموافقة على الذهاب معه؟! لكنه رحب بها بالطبع محاولاً إخفاء دهشته.

\*\*\*\*\*

استقلت سيارة أجرة وذهبت إليه ، فتح لها بكامل أناقته المعهودة وابتسامته الساحرة وعلامات الدهشة التي استطاع أن يخفيها في صوته ها هي ترتمس على وجهه ..

- طبعاً أنت مستغرب إنني جايلك بنفسني لحد بيتك
- لا ازاي يا حبيبتي ماتقوليش كدة، دة بيتك، وانتي عارفة إن حاجة زي دي تفرحني لأنني بحس إنك واثقة فيا بجد مش مجرد كلام .
- أه فعلا، أنا واثقة فيك بجد، وانت تستحق الثقة دي يا حبيبني
- بس انتي كنتي مخفية فين بقالك يومين، كلمتك كثير على الموبايل عشان أتطمئن عليكي وعلى ماما لأنك قولتيلي انها تعبت فجأة بس كل ما اتصل بيكي يالما ماترديش يالما موبايلك مقفول ، روحناك البيت خبطت محدش رد ، روحناك السنتر قالولي إنك مش بتروحي الشغل
- أه فعلا انا بقالي يومين ما بروحش الشغل اصلي كنت تعبانة شوية إنما ماما بقت كويسة نشكر ربنا
- تعبانة؟ عندك إيه يا حبيبتي سلامتك، تحبي أوديكي للدكتور؟
- لا مفيش داعي انا بقت كويسة الحمد لله ، إيه مش هاتجيبنا حاجة نشربها ولا إيه؟

- آه، آه طبعاً، هاقوم حالاً اجيب عصير فريش ولا تحبي تشربي حاجة ساقعة ؟
- أي حاجة على ذوقك يا حبيبي، إنت عارف أنا بثق في ذوقك قد إيه
- من عينيا ياروح قلبي ، ثواني مش هاتأخر عليك
- براحتك

قام مينا أو حسام متجهاً إلى المطبخ، حين تأكدت ماري أنه دخل المطبخ فتحت حقيبتها وأخرجت منها كيساً به مجموعة من قوالب عجين الصلصال ، وتناولت سلسلة المفاتيح المعلقة في التابلوه المخصص لتعليق المفاتيح وطبعت كل المفاتيح المعلقة بالسلسلة ، كانت أربعة أو خمسة مفاتيح، لم تركز وقتها في عددهم، كل ما كان يشغلها في تلك اللحظة هو إنهاء مهمتها بسرعة قبل عودة مينا ، في أقل من دقيقتين كانت قد طبعت كل المفاتيح ثم أعادتها إلى مكانها وعادت هي إلى جلستها السابقة ودست كيس قوالب عجين الصلصال في حقيبتها .

خرج مينا من المطبخ حاملاً صينية عليها كوبان من العصير ..

- انفضلي يا حبيبي عصير فريش لسة عاملهولك حالاً بألف هنا وشفا
- ناولها مينا العصير ، قرّبت العصير من شفيتها ولكنها لم ترتشف منه ولا رشفة ، فكرت أنه من الممكن أن يكون قد وضع لها مخدراً في العصير ، لم تعد تثق فيه.

- إيه ده؟ انت عامل عصير جوافة ؟
- أيوة طعمه جميل اشربيه هايعجبك اوي
- لأ أصل أنا مابحش عصير الجوافة

قالتها وهي تعيد الكوب إلى الصينية

- ولا يهملك يا حبيبي اعملك عصير غيره، تحبي تشربي عصير مانجة ولا تفاح ؟
- لا بقى خلاص ماتعيش نفسك مفيش وقت مش عايزة أتأخر على الشغل كفاية بقالي يومين مابروحش

علّقت حقيبتها على كتفها ونهضت من على الأريكة متجهةً إلى باب الشقة

- طيب استني أنزل معاك أوصلك
- لا خليك انا أصلا معايا التاكسي واقف تحت
- تاكسي؟! طب وليه يا حبيبي مانا كنت هاوصلك بعربيبي
- معلش مش عايزة أتعبك .. يلا سلام

لاحظ مينا أن تصرفات ماري كلها غريبة في هذا اليوم، حتى طريقة كلامها معه، ونظراتها له، ومجيئها وانصرافها بهذا الشكل السريع والمريب جعله حائراً ، خانه ذكاؤه، منعه غروره من مجرد التفكير في أن ذكائه لم يكن كافياً لاستكمال خطته ، لم يشك في لحظة أنها اكتشفت أمره وأنها تدبر له خطة مضادة تنتقم بها منه .

وعلى غير ما أخبرته به بأنها ذاهبة للعمل، عادت لبيتها بعد أن هاتفت المركز الرياضي الذي تعمل فيه معتذرة عن اليومين السابقين اللذين تغيبت فيهما عن العمل طالبةً السماح لها بأخذ إجازة حتى باقي الأسبوع متذرةً في ذلك بالإجهاد والإرهاق ، وقبل وصولها للبيت مرت على محل استخراج نسخ المفاتيح واستخرجت أربع نسخ لأربعة مفاتيح والتي قامت بطبعها على قوالب الصلصال .

في اليوم التالي هاتفت مينا وبشكل غير مباشر علمت منه موعد خروجه من المنزل وموعد عودته، كانت حريصة أشد الحرص أن تحدثه بشكل طبيعي وغير لافت للانتباه حتى لا يشعر أنها تستجوبه أو أنها تريد معرفة شيء بعينه.

ذهبت إلى شقته بعد أن تأكدت أنه خرج منها ، جربت المفاتيح الاربع حتى فتح أحدهم باب الشقة، دخلت تبحث فيها عن شيء يمكن أن يضيف لها معلومة جديدة غير اسمه يمكن أن تستخدمها ضده انتقاماً منه أو كسلاح تدافع به عن نفسها في حالة محاولته أذيتها .

أول شيء فكرت فيه هو مكتبته التي في الصالة الأخرى من الشقة ، قامت بفتح كل أدراجها والتفتيش فيها لكنها لم تعثر على شيء يفيدها حيث كانت تلك المكتبة هي مكتبة التليفزيون التي تحتوي على شاشة عرض متوسطة الحجم في منتصف المكتبة والتي تحيطها بعض التحف والتمائيل والاكسسوارات ، أعادت كل شيء إلى مكانه ثم دخلت غرفة نومه ، ألقت نظرة سريعة بداخلها ثم اتجهت نحو دولااب الملابس ، فتحته ، فكانت ملابسه معلقة على شماعة الملابس في منتصف الخزانة ، أما في جانبيه كانت تتراص ملابسه الداخلية والمناشف وملاءات السرير ، تركت الدولااب واتجهت ناحية التسريحة فتحت أدراجها فلم تجد فيها سوى بعض ساعات اليد وبعض زجاجات العطر الرجالي وأمشاط الشعر وكريمات الشعر والبشرة، أغلقت التسريحة ووقفت تجول بناظريها في أرجاء الغرفة زافرةً زفرة المهزوم الذي فشل في إيجاد ما يبحث عنه ، وضعت يدها على جبهتها وفكرت قليلاً ثم بحركة لا ارادية اتجهت ناحية دولااب الملابس مرة أخرى، فتحت الدرفة التي في المنتصف وأزاحت الملابس المعلقة على الشماعة قليلاً ناحية الشمال لتكتشف وجود جزيئة معدنية صغيرة الحجم ، في تلك اللحظة عاد إليها الامل مرة اخري وشعرت أنها على وشك الوصول لما تبحث عنه ، أدخلت أصغر المفاتيح والذي توقعت أنه هو مفتاح الخزينة، أدارت المفتاح فاستدار بسهولة ومع ذلك لم تفتح الخزينة ، نظرت بدقة لتكتشف أن للخزينة كلمة سر يجب إدخالها كي تفتح ، وقفت تفكر في حيرة .. ما عساها يا ترى كلمة السر تلك ؟ جربت أرقاماً عشوائية متتالية مثل 12345 وبالعكس ولكن الخزينة لم تفتح ، جربت رقماً آخر وهو تاريخ ميلاده 17878 لم تفتح الخزينة أيضاً ، ثم تاريخ ميلادها، ثم كتبت يوم خطبتها لكن اي من تلك الأرقام لم يكن صحيحاً ، وبينما تهم لإغلاق الدولااب واستسلامها لمعت فجأة فكرة في عقلها ، تذكرت أنها لمحت بعض من أرقام رقمه القومي على بطاقته التي وجدتها ملقاة على

الارض منذ ثلاثة أيام، أغلقت عينيها وكان أحداً يملئها الأرقام كتبت من اليسار إلى اليمين 401095 ، لم تصدق عينيها حين أدارت مفتاح الخزينة وقد فتحت هذه المرة .

وقفت مشدوهة أمام الخزينة المفتوحة وكأنها أمام كنز خفي ، وجدت مظروفاً أصفر كبير الحجم وبعضاً من رزم النقود ، تركت النقود وأخذت المظروف وفتحته ، وجدت فيه مجموعة من الاسطوانات التي تستخدم في تخزين المعلومات من على أجهزة الكمبيوتر، كل اسطوانة موضوعة في جوربها ومكتوب على كل جورب اسم امرأة وتاريخ ورقم هاتف ، فتحت مظروفاً آخر صغيراً كان بداخل المظروف الكبير مع الاسطوانات ، صعقت من المفاجأة حيث وجدت مجموعة من بطاقات الرقم القومي كلها عليها صورة مينا ولكن بأسماء مختلفة ، تناولت المجموعة كلها بمظروفها وأخذت معهم بعض الأوراق التي كانت موضوعة في مظروف آخر بمفردها بعيداً عن المظروف الأصفر الكبير، أخذتها دون أن تنظر في محتواها، ودست جميع الأوراق والاسطوانات في حقيبتها ، وخرجت مسرعةً من الشقة بعدما سوت كل شيء وأعدت باقي الأشياء إلى أماكنها .

أنت بلا عُذر أيها الإنسان

تبدلت حنان بين ليلة وضحاها، الليلة الاخيرة التي قضتها في حضن زوجها جعلتها تشعر بالندم على خيانتها ، وبالرغم من أن علاقتها بالرجل الآخر لم تدم إلا بضعة أشهر قليلة إلا انها قد استفاقت من غيوبتها وقد اتخذت قراراً حاسماً ونهائياً ، قررت أن تنتهي تلك العلاقة الآثمة، وأن تعطي كل حبها لزوجها وطفلها واللدان شعرت مؤخراً بأنهما الأحق بحبها ورعايتها واهتمامها .

لم تكن حنان برغم دلالتها واحتياجها الدائم للحب، لم تكن زوجة خائنة، ولكن أحياناً ما تضعنا الظروف في مواقف لم نكن نتخيل أن نوضع فيها، نرتكب خلالها أخطاءً لم يكن يخطر ببالنا يوماً أن نرتكبها ، لذا أول ما أتيت لها الفرصة للرجوع عن ذلك الطريق الذي سارت فيه لأيام كانت خلالها ضعيفة مسلوبة الإرادة وكأنها مساقاة بقوة خفية ، قوة رغبتها في أن تثبت لنفسها أنها أنثى مرغوبة وأنها شيء مهم في حياة الرجال، ومن المفارقات العجيبة أن يضع القدر في ذلك الوقت تحديد في طريقها رجلاً جعلها تشعر بأنها سيدة قلبه بل وسيدة كل نساء الأرض .

ذهبت إلى شريف في شفته مكان لقائتهما بعد انقطاع دام لعدة أيام كانت تؤنب نفسها فيها لم تقاوم خلالها وخذ ضميرها الذي بات يحثها بشكل لا ينقطع على النهوض من بركة الوحل التي ألفت بنفسها فيها وأن تنفض ثيابها وتنظفها من الطين العالق بها ، حاثاً إياها على الاغتسال من ذنوبها .

ذهبت إليه هذه المرة دون تبرج مرتدية أبسط أنواع الملابس على عكس كل اللقاءات الماضية التي كانت تعتمد فيها ارتداء ملابس مثيرة تظهر فتنتها وتحرص على وضع كثير من مساحيق التجميل على وجهها وتعنجه الزائد مع شريف لتزيد إثارته وفتنته بها .

اندهش شريف لرؤيتها على تلك الحال ، وزاد تعجبه من ملامحها الجادة ولهجتها الحادة ..

- شريف إحنا لازم نسيب بعض
- بتقوللي ايه؟ انتي بقالك مدة مابتجيش ومابتريش على موبايلك وكمان بعد كل الغياب ده جاية تقوليلي نسيب بعض!؟
- ايوة ياشرريف ده قرار نهائي ومش هارجع فيه
- يعني ايه قرار نهائي ومش هاترجعي فيه؟ هو قرارك لوحدك ياهانم؟ ثم ايه اللي حصل خلاكي تاخدي قرار غريب زي ده فجأة كدة!؟
- اللي حصل إني فُقت، حسيت بالندم من علاقتنا، ضميري بيأنبني
- فجأة كدة؟
- مش فجأة ولا حاجة، انا طول الفترة اللي عدت وانا بفكر في القرار ده ، مجدي جوزي مايستاهلش مني كدة ، ده غير إنه اتغير وبقي بيهتم بيا أكثر من الاول ، يبقى ماليش حجة ولا عذر إني أعرف راجل غيره
- أه يعني أنا الاستنبت بتاع سي مجدي بتاعك، لما يهملك وماياخدش باله منك تيجيني وتترمي في حضني ولما يرجع يهتم بيكي وياخد باله منك ترجعيله وترميني أنا، مش كدة؟

- أرجوك يا شريف ما تصعبهاش عليا وعلى نفسك، العلاقة اللي بيني وبينك كانت غلط من الأول ، يمكن ضعفت في وقت من الأوقات ، وكنت محتاجة لإيد تططب عليا وحد يسمعي ويفهمني وما انكرش اني لقيت كل ده معاك، لكن لحد إمتي ؟ لحد امتي هانفضل نغضب ربنا مننا ؟
- وهو انك تسيبيني وانتي عارفة إني بحبك وماقدرش أعيش من غيرك ده يرضي ربنا ؟
- بكرة تنساني وتحب واحدة غيري وتكون مناسبة ليك أكثر مني ، على الأقل تقدر تتجوزها وتعيش معاها في الحلال .
- بالسهولة دي؟ انتي متخيلة ان مشاعرنا دي ماشية بزاير ندوس عليها نحب وقت ما حنا عايزين وندوس عليها تاني فنبطل نحب برضو وقت ما حنا عايزين؟! انتي ما حبتنيش يا حنان ، انا كنت بالنسبة لك مجرد تعويض عن حرمان معين مش أكثر من كدة .
- أنا ما خدعتكش يا شريف ولا ضحكت عليك، أنا من الأول صارحتك وقولتلك اني بحب جوزي برغم علاقتي ببيك
- وانا؟ وانا يا حنان؟ ما فكرتنيش فيا؟ للدرجادي انتي أنانية وما بتفكرنيش غير في نفسك ؟
- لو سمحت يا شريف مالوش لزمة الكلام ده، سيبيني أرجع لجوزي وابني وحياتي، ومن فضلك من اللحظة دي ماتحاولش تكلمني أو تطلب تقابلني، لأن زي ما قولتلك ده قرار مش هارجع فيه
- لا ياهانم مش هاسيبك تخرجي، دخول الحمام مش زي خروجه
- يعني إيه؟ هاتمنعني من الخروج بالعافية؟!
- لو حتمت هاعمل كدة فعلاً، انا مش لعبة في ايديكي تعرفيني وقت ماتحبي وترميني وقت ماتزهقي مني ، انتي بتاعتي انا وبس ومش هاسيبك تروحي مني .

أمسك ذراعها بقوة واقترب منها يريد تقبيلها واحتضانها فما كان من حنان إلا أن دفعته فسقط على الأريكة، فسحبت حقيبتها بسرعة وركضت نحو الباب ، وخرجت من شقته وأغلقت الباب خلفها تاركة شريف يملؤه الغيظ ، لا يصدق ما حدث ولا يدري ماذا يفعل .

**نصاب بشهادة معتمدة !.**

دخلت ماري غرفتها وأغلقت الباب خلفها، خلعت حذاءها وملابسها وارتدت ملابس البيت ، تناولت حقيبتها وأخرجت المظروف الأصفر الورقي، وقبل أن تفتحه طرقت أمها الباب ثم دخلت دون ان تأذن لها ماري بالدخول ...

- ايه يامرمر يا حبيبتى ؟ رجعتي بدري من شغلك ليه؟
- أنا ماروحتش الشغل أصلاً يا مامي أنا كنت في مشوار ورجعت
- مشوار؟ مشوار إيه؟ وإيه الظرف اللي في ايدك دي؟
- معلش يمامي مش هاقدر أحكيك حاجة دلوقتي، هاحكيك كل حاجة في وقتها
- يابنتي في إيه بس مالك ؟ احوالك مش عاجباني خالص اليومين دول، مش بتروحي شغلك ودايماً قافلة عليكي اوضتك ولا بتاكلي ولا بتشربي لحد ما عينيكي مققت ووشك بقى أصفر زي اللبونة
- فترة وهاتعدي يمامي ماتقلقيش عليا وصدقيني انا كويسة مفيش حاجة
- طيب وخطيبك؟
- خطيبي؟ ماله؟
- مش ببيجي ليه؟ انتوا زعلانين من بعض؟
- لا ابدأ، بس زي ما قولتلك عشان انا مشغولة الأيام دي مش أكثر
- ولو اني قلبي بيقولي غير كدة بس عموماً انا مش هاضغط عليكي عشان تحكي لي ، انا هاسيبك على راحتك وعارفة انك عاقلة وبتعرفي تتصرفي صح في الوقت المناسب .

قالت أمها جملتها الأخيرة وغادرت الغرفة وأغلقت الباب خلفها، شعرت بقلب الأم أن ثمة خطباً ما بدل حال ابنتها .

بعدما تأكدت ماري من خروج أمها قامت بفض المظروف الأصفر وأفرغت محتوياته على السرير ، أمسكت مظروف الاسطوانات وكان عددها خمس، مكتوب على كل اسطوانة اسم سيدة ، قرأتهم اسماً اسماً .. حنان عبد التواب السيد، يسرا عاطف عبدالحميد، سارة محمود مصطفى، شهيرة أحمد عبد الجواد، ماري إسحاق يعقوب ، لفت انتباهها الاسم الاخير ؛ انه اسمها ، فكرت ..

- ياترى ايه السيديات دي؟ وليه اسمي مكتوب على واحدة منهم؟! عموماً أكيد هاعرف لما افتح السيديات وانفرج عليهم بس الأول اشوف إيه الورق ده

نحت الاسطوانات جانباً وأمسكت بالمظروف الآخر ، فتحتة وأخرجت منه مجموعة من البطاقات الشخصية كلها لشخص واحد مع اختلاف الأسماء ، بدأت قراءتهم بصوت عالٍ وببطء وكأنها تتأمل تلك الأسماء ، مينا عادل عبدالمسيح ، أحمد سعيد المصري، صلاح عامر عبيد، حازم عبدالعليم المهدي، شريف ناصر البناء، تملكته الدهشة وهي تعيد قراءة الأسماء مرة أخرى ثم أردفت ..

- ده غير البطاقة اللي باسم حسام عبدالرحمن محمد السيد ، ياترى هو مين في دول؟! ده شكله محترف تزوير أوراق رسمية ، البطايق كلها تبان إنها سليمة ، محدش يقدر يفرقها عن البطاقات السليمة ولا ممكن يشك إنها مزيفة ، يابن الذينا شكلك كدة مزور ونصاب خطير.

تركت البطاقات وأمسكت المظروف الثالث والأخير ، وأفرغت محتوياته، كانت كلها عبارة عن أوراق رسمية عليها أختام وامضاءات ، قلبت فيها من الأمام إلى الخلف ، فوجدت من بينها شهادة ميلاد ورقية قديمة ، قرأت البيانات المدونة بها والمكتوب فيها اسم الطفل: حسام عبدالرحمن محمد السيد، اسم الأب: عبدالرحمن محمد السيد عبدالرحمن، اسم الأم: نجاح عارف عبد الباري حسن، لفت انتباهها اسم الأم ، خيل لها أنها سمعت بهذا الاسم من قبل ، نظرت في الفراغ تفكر وتتساءل .. أين يمكن أن تكون قد سمعت بهذا الاسم؟! وظلت تردد الاسم لمرات ، ثم صاحت فجأة ..

- معقول؟! معقول تكون هي؟ نجاح عبدالباري عضو مجلس الشعب اللي حكايتها قلبت الدنيا من سنتين تلاتة !

أخرجت هاتفها المحمول من حقيبتها وكتبت في محرك البحث اسم نجاح عبدالباري ظهرت لها نتائج البحث لتؤكد لها صدق حدسها، إنها بالفعل عضو مجلس الشعب السابقة والتي رُفعت عنها الحصانة منذ عامين لاتهامها بارتكاب فعل فاضح في حرم البرلمان مع عضو برلماني آخر و تم فصلهما من عضوية البرلمان ورفع الحصانة عنهما والتحقيق معهما .

- كمان أمك طلعت ست شمال؟! ما شاء الله دانا وقعت في عيلة زي الفل !.

تركت هاتفها وقلبت في باقي الأوراق ، لفت انتباهها ورقة تبدو من هينتها أنها شهادة رسمية ، قرأت محتواها لتصاب بصاعقة ، عنوان الشهادة .. مستشفى العباسية للأمراض العقلية ، وفي متن الشهادة مكتوب ..

"شهادة صحية تعطى لمريض نفسي بعد إتمام علاجه وعودته لحالته الطبيعية أكملت القراءة: تشهد المستشفى بأن المريض حسام عبدالرحمن محمد السيد قد تم علاجه من مرض انفصام الشخصية وأنه تعافى تماماً، وأنه يمكنه عودته لممارسة حياته بشكل طبيعي ، وهذا إقرار منا بذلك ، وفي أسفل الشهادة إمضاء دكتور الحالة .. علاء الدين حسين غالب

- كدة أنا بدأت أفهم، يعني شخصيته الحقيقية هي حسام ، والبطاقة اللي شفتها واقعة على الأرض في شفته هي بطاقته الحقيقية ، وطلع مريض نفسي وكان بيتعالج من انفصام شخصية ، أه بس الشهادة دي تاريخها من خمس سنين ، يعني حتى لو كان بيعاني زمان من مرض نفسي فهو المفروض انه اتعالج ورجع طبيعي زي تقرير المستشفى ما بيقول ، أمال ليه نصب عليا بشخصية تانية غير شخصيته الحقيقية؟ وليه كم البطاقات الكثيرة دي ؟ الموضوع باين عليه خطير ووراه سر كبير لازم اعرفه، بس ابتدي ازاى؟ تبتدي ازاى ياماري؟ أه هاتفرج في الاول



# كلنا مرضي نفسيون ولكن بدرجات متفاوتة

عرفت ماري معلومات لا بأس بها عن مرض انفصام الشخصية عن طريق البحث عن ماهية المرض على الانترنت، والجدير بالذكر أنها علمت أن المرض يصنف مرضاً عقلياً وليس نفسياً كما كانت تعتقد، وهو أكثر الاضطرابات العقلية شيوعاً ، حيث يؤثر ذلك الاضطراب على التفكير والمشاعر والسلوك بطريقة تجعل المصاب به يواجه مشكلة في أداء العديد من المهام البشرية المتنوعة ، ومن أمثلة أعراض انفصام الشخصية .. الهلوس، والأوهام الذهنية، وعدم ترابط الكلام، والسلوك المضطرب وكذلك فقد الإرادة وانعدام المشاعر أو تشويشها ، وقفت قليلاً عند الجزء الأخير وفكرت أن هذا ما يعاني منه حسام بالضبط وهو انعدام المشاعر وتشويشها، وهنا بدأت تقرأ كثيراً عن هذا الجزء بالتحديد ولكن كل المعلومات التي جمعتها لم تكن كافية بالنسبة لها، لازالت بداخلها أسئلة عديدة تحتاج إلى إجابات أكثر دقة، وتحديداً عن الحالة التي تخصها هي ، حالة إنسان أحبته وارتبطت به وكانت على وشك الزواج به، هي لا تنكر أنها أحبته، لذلك هي لن تغفر له أنه خدعها حتى لو صار من المستحيل معالجة الأمر ، ولكن شخصيتها الفضولية التي تهتم بأدق التفاصيل تغلبت عليها وجعلتها تقرر أنها لا بد أن تعرف عن ذلك الشخص كل شيء، وأن تفعل شيئاً ترد به كرامتها قبل مغادرة الساحة ، بحثت أيضاً على شبكة الانترنت عن اسم الطبيب النفسي المدعو علاء الدين حسين غالب عسى أن تجد عنواناً لعيادته الخاصة أو أي أرقام لهواتف تمكنها من التواصل معه ولكنها لم تجد أية معلومة قد تساعدها ، فقررت أن تذهب إلى مستشفى العباسية للأمراض النفسية .

\*\*\*\*\*

وبالفعل ذهبت إلى المستشفى وسألت عن الطبيب، فعلمت من أحد الأطباء الذين يعملون بالمستشفى أن الدكتور علاء قد ترك المستشفى منذ عامين لوصوله إلى سن التقاعد ، طلبت من ذلك الطبيب إعطاءها عنوان منزل دكتور علاء لحاجتها الضرورية إليه ..

- أنا ماعرفش في الحقيقة عنوان بيته وإذا كان لسة ساكن في نفس العنوان اللي كان ساكن فيه لما كان لسة بيشتغل في المستشفى ولا غيرَه .
- أقدر اجيب عنوانه منين؟ من فضلك ساعدني الموضوع خطير
- طيب اتفضلي معايا هاوديكي لأوضة مكتب الأرشيف ، دي عادةً بتبقى فيها عناوين الدكاترة وأرقام تليفوناتهم .

اصطحبها الطبيب الشاب إلى غرفة الأرشيف ودخل معها، و في غرفة الأرشيف كانت تجلس سيدة في منتصف الأربعينيات تقريباً، سميئة، ترتدي جلباباً فضفاضاً أسود اللون، وتضع حجاباً للرأس بنفس اللون، حياها الطبيب ..

- صباح الخير يا أستاذة منى
- صباح الخير يادكتور يوسف، ازي حضرتك
- تمام الحمد لله، الأستاذة عاوزه تعرف عنوان دكتور علاء الدين حسين غالب ، فاكراه؟
- دكتور علاء .. أيوة طبعاً فاكراه بس ده طلع معاش من سنتين
- ايوة مانا قلت للاستاذة نفس الكلام بس هي عاوزه تعرف عنوان بيته
- طيب اتفضلي استريحي يا أستاذة وانا هادور لحضرتك على عنوان بيته في أرشيف الدكاترة .

جلست ماري على المقعد قبالة مكتب موظفة الأرشيف وهمّ الطبيب الشاب بالانصراف

- طيب أستاذن انا عشان عندي شغل ، ياريت حضرتك يا أستاذة .... ماتشرفتش بالاسم
  - ماري، اسمي ماري
  - يا أستاذة ماري، ياريت لو حضرتك تعدي عليا في مكتبي بعد ماتاخدي العنوان
- تعجبت ماري من طلبه ولكنها هزت رأسها بالإيجاب ، فانصرف الطبيب ، أما موظفة الأرشيف فقد بدأت البحث عن عنوان الدكتور علاء على جهاز الكمبيوتر ، استغرق البحث قرابة الربع ساعة لكنها لم تجد العنوان ، فقالت بلهجة اعتذار ..

- انا اسفة يا أستاذة مالفقتش العنوان، أصل النظام عندنا هنا في الارشيف اننا بنحتفظ بعناوين الدكاترة طول فترة عملهم بالمستشفى، وفي حالة طلوعهم على المعاش لمدة بنحتفظ بالبيانات بتاعتهم لمدة صغيرة ماتزيدش عن سنة على اساس ممكن المستشفى تحتاجهم أو حد زي حضرتك يجي يسأل على عنوان حد منهم لكن بعد السنة بنشيل المعلومات دي عشان نفضي مساحة لمعلومات عن دكاترة تانيين لسة بيشتغلوا في المستشفى ، كان نفسي اساعدك بس حظك انك جيتي متأخرة، بعد ماشيلنا المعلومات من الأرشيف .

خرجت ماري و هي تشعر بالضيق لأنها لم تحصل عل ما أرادت، وقبل مغادرة المستشفى تذكرت طلب الطبيب الشاب بأن تمر عليه في مكتبه وبالفعل عادت لمكتبه ..

- اتفضلي يا أستاذة ماري

دخلت ماري وجلست على المقعد قبالة الطبيب، فهم من تعبيرات وجهها المقتضبة أنها لم تحصل على العنوان

- مالفقتش العنوان مش كدة؟
- لأ للأسف ، اتمسح من الأرشيف
- عندي سؤال فضولي، هو حضرتك عاوزه عنوان دكتور علاء ليه؟

- موضوع خاص مش هاقدر اقولك عليه أنا أسفة
- طب ماتقوليلي يمكن اقدر اساعدك ، انا برضو اشتغلت مع دكتور علاء ثلاث سنين قبل مايطلع على المعاش ويمكن لو قولتيلي علوزاه في ايه أقدر أفيدك باي معلومة

ترددت قليلاً قبل أن تنطق ..

- كنت، كنت عايزة أسأله عن حالة كان بيعالجها زمان
- حالة تقربلك؟
- يعني، حاجة زي كدة
- شكلك مش عايزة تتكلمي مع اني عاوز اساعدك
- انا أسفة، اصل الموضوع حساس شوية ، وانا مش هاقدر اتكلم غير مع دكتور علاء شخصياً، عن اذنك

وبينما تهم للمغادرة استوقفها ..

- لحظة واحدة انا ممكن اساعدك توصلني للدكتور علاء
- نظرت له نظرة الغريق الذي تعلق بقشة، ثم أكمل هو ..
- صحيح انا ماعرفش عنوانه ولكن اقدر اجيبك رقم تليفونه
- بجد؟ ياريت ، أكون شاكرة ليك جداً يادكتور

قالتها بانتنشاء

- اتفضلي استريحي وانا هاستأذنك خمس دقائق وراجع
- أوكي اتفضل

جلست تدعو الله أن يوفق هذا الطبيب في الحصول على رقم هاتف دكتور علاء ، وعادت أسئلة جديدة تتقاذف في مخيلتها .. ماذا لو لم أحصل على رقم هاتف الطبيب أو عنوانه أو أي شيء يدلني عليه؟ ماذا لو لم أتمكن من الوصول إليه؟ أو ماذا لو تمكنت من الوصول إليه ولكنه رفض أن يساعدني ولم يوافق على التعاون معي واعطائي أية معلومة مفيدة عن حالة حسام؟ سألت نفسها السؤال الأهم .. ماذا لو حصلت على كل المعلومات المطلوبة عن حالة حسام؟ كيف سأصرف حيال ذلك؟ بماذا ستفيدني تلك المعلومات مادمت قد قررت فسخ خطبتي منه؟ ألا يكفي ذلك؟ لا لا يكفي ذلك، لن أدعه يمضي بفعلة، أنا بدأتُ طريقاً وعلّي إستكماله للنهاية .

وبينما هي غارقة في أفكارها وأسئلتها التي لا تنتهي عاد الطبيب وفي يده ورقة صغيرة بيده ناولها إياها .

- اتفضلي يااستاذة ماري ، دي أرقام تليفونات دكتور علاء ، رقم البيت والموبايل ، على فكرة مكانش سهل عليا اجيبهوملك ، لأن الدكتور اللي جبت منه الأرقام مكانش راضي يديهوملي

احتراماً لخصوصية دكتور علاء لأنه مش بيدي ارقامه لأي حد لولا اني قولتله اني علوز الرقم  
في حاجة ضرورية وخاصة .

تناولت منه الورقة ممتنة

- انا متشكرة جداً يادكتور يوسف ، مش برضو اسم حضرتك يوسف؟ انا سمعت موظفة الأرشيف  
بتناديك بالاسم ده

ابتسم لها الطبيب ابتسامة هادئة ..

- ايوه إسمي يوسف، ومفيش داعي للشكر انا تحت امرك في أي وقت، لو تحبي اكتبلك رقم تليفوني  
هنا في المكتب ورقم موبايلي انا ماعنديش مانع

فكرت قليلاً ثم قالت ..

- أوكي ياريت

تناول ورقة من مجموعة الأوراق الصغيرة على مكتبه وكتب لها رقمي مكتبه وهاتفه المحمول واسمه ثلاثيا  
وناولها إياها، أخذت من يده الورقة ودستها في حقيبتها دون النظر فيها، كل ما كان يههما ويشغل بالها في  
تلك اللحظة هي الورقة الأولى، صافحته شاكراً وغادرت المستشفى.

**الحب الحقيقي يحول الذئب المفترس إلى قط مستأنس**

بدأ القلق يتسرب إلى قلب حسام من ناحية ماري، لأنها لم تعد ترد على مكالماته التليفونية في الفترة الأخيرة بشكل لافت ومقلق، بيد أنها باتت تتغيب كثيراً عن عملها على غير العادة ، كما أنه لا يجدها في بيتها كلما ذهب إليها ليسأل عنها، تساءل.. أمعقول؟! أمعقول أن تكون قد عرفت حقيقتي؟ لا لا لا أظن .. ردها حسام محاولاً طرد مخاوفه من قلبه، ماذا لو كانت قد عرفت حقيقتي بالفعل؟ كارثة بالطبع، ماري بالنسبة لي ليست مجرد فتاة أعجبتني بل إنها حب عمري، نعم حب عمري، وإن كنت فعلت أشياء لم أكن أتوقع أن أفعلها أبداً للتقرب منها حتى لو اضطررت لانتحال شخصية شخص مسيحي كي أصل إليها ، حتى لو اضطررت لخطبتها بل والزواج بها، نعم نويت الزواج بها لأنني لم أعد أطيق العيش بدونها، من المرة الأولى التي رأيتها فيها في حفل زواج صديقي ميلاد حنا، حين رأيتها في الكنيسة ووقعت عيناها عليها أعجبتني ، علمتُ أنها قريبة العروس، هي لم ترني أو تلتفت إليَّ أو تنتبه لوجودي، ولكنها لفتت نظري ببساطتها واحتشامها الشديد الأناقة والراقي، ابتسامتها الدافئة وعفويتها سحراني، لم أكن أتصور لوهلة وأنا الذي لطالما أذاب قلوب النساء أن تسحرني تلك الساحرة الصغيرة، غلبتني شهوة القنص التي تمتلكني حين تعجبني أي امرأة ، أنا القنص الماهر الذي لا يخطيء سهمه أبداً، وكعادتي كل مرة وقبل الانقراض على فريستي الشهية جمعت كل المعلومات الممكنة عن فريستي الجديدة، علمت من خلال مراقبتي لماري أنها غير كل النساء اللواتي عرفتهن في حياتي قبلها، فتحفظها الشديد وصددها لي كلما حاولت الاقتراب منها زادني تعلقاً بها، حولتني تلك الصغيرة من قنص إلى فريسة، نعم وقعت أنا في براثنها، أحببتها، شغلتنني وتملكت كل كياني، تغلغلت في مسامي وبين ثنايا ضلوعي، أنا الذي لم أعرف للحب طريقاً يوماً، لكن هنا انتهت إلى الفارق الوحيد والخطير والذي لا يمكن تجاوزه أو التغاضي عنه وخاصةً بالنسبة لشخصية كشخصية ماري التي تقدس الزواج ولن تنتازل عن أهم شروطه وهو التوافق الديني، بالنسبة لي لم يكن ثمة ما يمنع زواجي بها فديني يعطيني الحق في ذلك ما دامت من أهل الكتاب، ولكني على يقين أن ماري الفتاة المتدينة التي تغار على دينها وتعاليمه وطقوسه التعبدية لن تقبل أبداً مجرد طرح الفكرة، إذن ماذا أفعل كي أفوز بها؟ ماذا أفعل حيال قلبي الذي تعلق بها وهي التي أصبحت حبي الوحيد الذي باتت الحياة بدونها مستحيلة، فكرت في تلك الحيلة الشيطانية، سأسمي نفسي مينا ! نعم سأزور بطاقة هويتي، ألم أكن معتاداً على الإقبال على القيام بهذا العمل كثيراً من قبل؟! ولكن الأمر هذه المرة مختلف تماماً، أنا لا أريد أن أزور بطاقتي للايقاع بإحدى النساء وإخفاء هويتي الحقيقية عنها ولكني سأزورها رغماً عني لأفوز بقلب من أحب، سيسامحني الله عن هذه الحيلة بالتأكيد، ولم لا؟ مادام الهدف نبيلاً! أليس الحب من عند الله؟ أليس الزواج شريعة الله؟ أليس الله سبحانه وتعالى هو علام القلوب والغيوب، وهو وحده يعلم أن قلبي لا يحمل لها غدراً أو خداعاً، لا يحمل لها سوى الحب، والحب فقط دون سواه.

تعمدتُ المرور بسيارتي في الشارع الذي تتريض فيه كل صباح أثناء ذهابها لمحل عملها كي ألقت انتباهها لي حتى لو اضطررت أن أخطبها خبطة خفيفة بسيارتي، خبطة لا تؤذيها ولكنها تجعلها تلتفت إليَّ، ولما لم تنفع تلك الحيلة وكذلك الحيلة الأخرى باشتراك في دورة تدريب اليوجا في المركز الرياضي الذي تعمل فيه رغم أنني تعمدت وقتها أن أعرفها باسمي المسيحي "مينا عادل عبدالمسيح" كي تطمئن لي ، كنت مستعداً

أن ألقى بنفسي في آتون النار في سبيل أن أرى في عينيها نظرة حب، وهي العنيدة الشرسة التي تتعامل معي بلا مبالاة وأنا المتيم بها.

عنادها وكبرياؤها زاداني تعلقاً بها، وإصراراً على الفوز بها ، طلبتها للزواج، تركتني ليالي أتقلب على نار الانتظار والخوف من الرفض، وحين أنتتني البشارة منها بالموافقة على ارتباطي بها وخطبتها، كاد قلبي حينها يتوقف عن خفقانه من فرط سعادتي بها ، تعهدت أمام الله أن أكفر بها عن كل ذنوبي الماضية وأن أراعي الله فيها، وأن أجعلها أسعد امرأة في الكون، سوف أجعلها لا تندم يوماً على حبها لي وثقتها فيّ، حبها وثقتها في هما كل ما أحتاجه ويعلم الله أنني في أمس الحاجة إلى طهرها لأنظهر بها، ونقاء قلبها لأنقي نفسي من قذارتها، سأفتح معها صفحة جديدة لا تحوي سواها،

منذ أن خطبتها شعرت بمسئولية كبيرة تجاهها ، شعرت وأنا المستهتر دائماً بالنساء، شعرت بأنني مسئول عنها مسئولية كاملة وأنه أصبح لزاماً علي المحافظة عليها وعلى طهرها وعدم تدنيسها تلك العفيفة النقية الشفافة ، حتى حين أصريتُ على اصطحابها معي إلى شقتي لم أكن أضمر لها سوءاً بالعكس كنت أحاول ان أثبت لنفسي أنني تغيرت بالفعل وأثبت لها أنني أكثر شخص في الوجود يمكنها الوثوق به، حتى إننا ونحن بمفردنا في شقتي كنت أشعر أن الله ثالثنا، ومادام الله قد استجاب لدعائي وجعلها تقبلني خطيباً لها فسأكون عند حسن ظنه بي ، ألم يكن هو عز وجل من قال "أنا عند حسن ظن عبدي بي"؟ إذن فأنا عبده أيضاً سأكون عند حسن ظنه بي .

يارب، أنت عالم بقلبي ونيتي وضميري، تعلم أنني صادق في حبها، يارب مثلما جمعتنا في الخطبة تمم لنا الزواج أيضاً ، لا تفرق بيني وبينها، أعلم أنني لا أستحق أن أقف أمامك وأناجيك، لكنني أعدك بأنني سأصارعها بحقيقتي بعد الزواج، سأخبرها بأنني فعلت ذلك من أجلها، من خوفاً من فقدانها، عساها تسامحني حينها وتلتمس لي العذر، عساها تنسى خديعتي لها، وتذكر شيئاً واحداً، وهو أنني أحبها .

يمكن للمرأة أن تسامح في الخيانة  
ولكنها أبداً لا تغفر الخديعة

فور خروج ماري من مستشفى العباسية هاتفت الطبيب علاء وطلبت منه مقابلته لأمر هام، وبعد عدة أسئلة من قبله مثل من أنت؟ ولماذا تريدان مقابلي؟ وما تودين معرفته يمكن السؤال عنه في الهاتف بدلاً من مقابلته، وافق أخيراً على السماح لها بزيارته في منزله وأعطاه عنوانه بالتفصيل، لكنه طلب منها زيارته في اليوم التالي لأنه ليس على استعداد لاستقبال أحد في بيته اليوم ، كان فظاً معها أثناء المحادثة التليفونية ولكنها لم تبال، كل ما كان يهمها هو مقابلته مهما كلفها الأمر .

في اليوم التالي وفي الميعاد المحدد ذهبت ماري إلى الدكتور علاء في بيته، وقفت سيارة الأجرة أمام مبنى عتيق ذو اسقف شاهقة الارتفاع ، صعدت ثمانين درجة سلم كي تصل إلى الدور الرابع، فالعمارة لا يوجد بها مصعد كهربائي لأنها من اربعة طوابق فقط .

وقفت تلتقط أنفاسها أمام شقة الباب ذو الصلقتين العتيقتين من عمر ذلك المبنى ذي الرائحة العطنة التي تنبعث من جدرانه المليئة بالرشح المائي ، قرأت لافتة صغيرة معلقة على الجانب الأيمن من الباب مكتوب عليها "دكتور علاء الدين حسين غالب، معالج نفسي" .

طرقت الباب طرقة واحدة، ففُتح على الفور وكأن صاحب الشقة واقفاً خلفه ! وكانت المفاجأة أن من فتح لها الباب هو ذلك الطبيب الشاب الذي قابلته في مستشفى العباسية و الذي أعطاه أرقام هواتف دكتور علاء ، دهشت للمفاجأة وصمنت قليلاً وهي تنظر للافتة على الباب ثم عادت ونظرت إلى الطبيب الشاب ..

- ايه ده؟ هو مش حضرتك .....!؟

- أيوة يا أستاذة ماري، انا دكتور يوسف اللي قابلتيني في المستشفى واديتك ارقام تليفونات دكتور علاء

- طب ازاي انا مش فاهمة حاجة

- اتفضلني حضرتك وانا هافهمك

نظرت من خارج باب الشقة بتوجس وهي لازالت واقفة في مكانها ولم تتقدم خطوة واحدة إلا بعد أن سمعت صوتاً من الداخل يقول لها ..

- اتفضلني يااستاذة انا هنا

تقدمت خطوتين ونظرت إلى الداخل، حيث رأت رجلاً مسناً في حوالي الستين من عمره جالساً على كنبه الأنتريه؛ شعره أشيب، ناعم، وخفيف، وجسده بدين نوعاً ما ..

- اتفضلني يا أنسة أنا دكتور علاء

اقتربت أكثر من الرجل، ومدت يدها لمصافحته

- ازي حضرتك يادكتور

- اهلاً وسهلاً اتفضلني استريحي

أغلق الطبيب الشاب الباب ثم توجه ناحية دكتور علاء وضيافته، ووجه التحية للضيافة ثم قال موضحاً..

- طبعاً أكيد انتي مستغربة من وجودي هنا رغم اني قولتلك امبارح لما طلبتي مني عنوان دكتور علاء اني ماعرفش العنوان

نظرت له وكأنها تنتظر توضيح سبب كذبه عليها بالأمس، فعاجلها قائلاً ..

- أنا آسف اني اضطريت اقولك كدة  
- ممكن اعرف حضرتك كدبت عليا ليه ؟ ما حضرتك كان ممكن تقولي انك تعرف عنوان دكتور علاء بس مش هاتقدر تديهولي !  
- انا ماكدبتش عليك ، انا قولتلك إن دكتور علاء مش بيدي عنوان بيته لحد إلا للقريبين منه بس وانا والدكتور علاء علاقتنا مش بس علاقة استاذ بتلميذه لكن كمان كأننا أب وابنه، ولما لقيتكم مصرّة تقابليه، وانا عارف ان الدكتور ما بيقابلش حد، خرجت من أوضة المكتب واتصلت بدكتور علاء عشان اسأله اديكي رقم تليفوناتاه وعنوانه ولا لأ، قالي اديها الارقام بس ماتديهاش العنوان لحد ما اعرف مين هيّ وعايزة ايه.

وهنا التقط دكتور علاء أطراف الحديث وأكمل قائلاً ..

- ولما كلمتيني امبارح واديتك العنوان والميعاد اللي ينفع تزوريني فيه كلمت دكتور يوسف وطلبت منه إنه يكون معايا أثناء مقابلتك، انا اسف اصلي ماتعودتش اقابل حد غريب في بيتي .  
- أيوة بس الموضوع اللي عاوزة حضرتك فيه موضوع شخصي ومش عايزة حد غير حضرتك يعرفه .

شعر دكتور يوسف بالحرص وقام مستأذناً ..

- طيب هاقوم انا اعملكوا اتنين قهوة على ما تخلصوا كلامكم ، عن اذنكوا

بعدما تأكد دكتور علاء من انصراف دكتور يوسف وجه كلامه لماري قائلاً ..

- ادينا بقينا لوحدنا ياستي ، ها، ايه بقي الموضوع المهم والشخصي اللي مش عايزة حد غيرنا يعرفه؟  
- أنا طالبة مساعدتك يادكتور ، مفيش حد غيرك هياقدر يساعديني في اللي انا جاياالك عشانه  
- اتفضلي انا سامعك، واكيد لو اقدر اساعدك مش هاتأخر  
- حسام عبدالرحمن محمد السيد، فاكر حضرتك الاسم ده؟

ضيق الطبيب عينيه محاولاً تذكر الاسم مردداً إياه

- حسام عبد الرحمن محمد السيد...حسام عبد الرحمن محمد السيد  
- حسام كان مريض بيتعالج في مستشفى العباسية من حوالي خمس سنين و حضرتك كنت المشرف على علاجه

- آه آه افكرته، ماله بقى حسام؟
- انا عرفت إن حسام كان مريض بانفصام الشخصية ، انا كل اللي محتاجاه من حضرتك إني أعرف معلومات أكثر عن حالته ، يعني هل هو خف من حالته دي وشفي منها ورجع طبيعي زي ماتقريب المستشفى وحضرتك موقع عليه باسمك بيقول ؟ وعاوزة اعرف كمان مدى علاقته بأبوه وأمه، وهل ده كان له تأثير على حالته وهو اللي أدى إلي انه يصاب بالمرض ده وهل ..... قاطعها دكتور علاء وقد نفذ صبره ..

- انتي تقربيله ايه عشان عاوزة تعرفي عنه كل المعلومات دي ؟
- أنا خطيبته
- خطيبته ازاي! مش انتي قولتيلي في التليفون إن إسمك ماري اظن ؟ تبقي خطيبته ازاي وهو مسلم وانتي مسيحية؟!
- ما هو ده اللي انا جاية لحضرتك النهاردة عشانه يادكتور ، حسام ضحك عليا ، انتحل شخصية شاب مسيحي وسمى نفسه مينا عادل عبدالمسيح، وزور بطاقة بالاسم ده ، وانا للأسف صدقته واتخطبتله من غير ما أسأل عنه لإني ماشكيتش لحظة انه بيكذب عليا، لإن هيئته بتوحي بإنه شخص محترم وإبن ناس زي ما اكيد حضرتك عارف بما انك كنت المعالج بتاعه .
- طيب وانت عرفت ازاى شخصيته الحقيقية ؟
- بالصدفة، بس مش هاقدر اوضح لحضرتك اكثر من كدة، المهم اني عرفت وخلص والمطلوب مني ايه دلوقتي؟
- انا هارفع قضية على حسام هاتهمه فيها بالنصب والتزوير، وهاطلب شهادة حضرتك في المحكمة عشان كدة عاوزاك تساعدني بالمعلومات الكافية عن حالته ، وياريت لو في أي أوراق رسمية تانية غير ورقة التعافي تثبت إنه كان بيتعالج في المستشفى وإنه ....

قاطعها دكتور علاء للمرة الثانية منفِعلاً..

- انتي عايزاني أفشي أسرار المرضي بتوعي يآنسة ؟ لا أخلاقي ولا ضميري المهني يسمحولي بكدة .

انتفض واقفاً منهياً الحديث، فنهضت ماري بدورها ..

- يادكتور انا مش طالبة منك انك تفشي أسرار المرضى ، انا طالبة منك تساعدني مش أكثر

أتى الطبيب يوسف مسرعاً على صوتهما العالي محاولاً تهدأتهما مستفسراً عما حدث ..

- في ايه يادكتور علاء، اهدا من فضلك، الانفعال مش كويس عشان صحتك
- الأنسة جاياني عشان تاخذ معلومات عن مريض من المرضى بتوعي ، متخيلة اني ممكن اشاركها في جريمة زي دي .

- جريمة! جريمة اني عاوزة أعرف معلومات عن حالة مريض نصب عليا وخدعني وانتحل شخصية تانية غير شخصيته الحقيقية وخطبني وكنا على وشك الجواز ، وتسمي اللي عمله فيا دة ايه يادكتور؟ مش جريمة؟ تخيل حضرتك لو مكوناتش اكتشفت حقيقته وكنا اتجوزنا كان هايبقى ايه موقفي؟!

طلب منها دكتور يوسف أن تهدأ ..

- اهدي يااستاذة ، ولو ممكن بعد اذنك تفهميني ايه اللي حصل ومعلومات ايه اللي عايزة تعرفيها وعن مين بالطبط

- انا مكوناتش عايزة حد يعرف المصيبة اللي انا واقعة فيها لكن مضطرة احكي قدامك يمكن تقدر تقنع دكتور علاء انه يساعدي طالما انه بيعتبرك زي ابنه زي مانت بتقول

وقبل أن تتنطق عاجلها دكتور علاء قائلاً ..

- قولتلك يانسة اللي بتطلبه مني ده مستحيل

بكت ماري محاولة استعطاف دكتور علاء ..

- انت ليه مش مقدر حجم المصيبة اللي انا واقعة فيها يادكتور؟!

طلب منها دكتور يوسف الجلوس ..

- من فضلك اتفضلي استريحي يا أنسة ماري واهدي لو سمحتي، انا لحد دلوقتي مش فاهم حاجة

ثم وجه حديثه لعلاء ..

- وانت اتفضل استريح يادكتور لو سمحت

نظر له علاء دون استجابة، فقال له دكتور يوسف ..

- من فضلك

جلس دكتور علاء، ثم تبعه في الجلوس دكتور يوسف، وماري، و قد ازداد بكاؤها

وهي تحكي بصوت مبحوح و الكلمات تخرج من اعماقها ..

- الموضوع مطرح وحساس ، انا اتخطبت لشخص اسمه مينا وكنا على وشك الجواز بس اكتشفت بعد خطوبتنا بأيام إنه نصاب وإنه ماسموش مينا أصلاً، وانه مسلم .

رد دكتور يوسف متعجباً ..

- ايه ؟ معقول الكلام ده؟!

- ايوه هو ده اللي حصل ، وكل اللي انا محتاجاه دلوقتي من دكتور علاء إنه يساعدي بأي معلومة أقدر استخدمها ضده وإنه بييجي يشهد معايا لما أرفع عليه في المحكمة
- المحكمة !!!
- أيوة طبعاً، انا لازم ارفع عليه قضية امال اسيبه يهرب بعملته دي من غير مايتحاسب؟!!

ثم وجهت ماري حديثها إلي لدكتور علاء ..

- واللي ماتعرفوش يادكتور علاء إن الأستاذ حسام اللي حضرتك مش عاوز تساعدي اجيب حقي منه استغل سنات كتير تانية غيري، والمصيبة الأكبر إنه استغلهم جنسياً وصورهم وهما معاه في السرير، أنا أسفة طبعاً إنني بقول كدة، بس هو ده اللي حصل فعلاً

فزع دكتور علاء لما سمعه ..

- بتقولي ايه؟
- انا مكونتش ناوية اقولك الكلام ده لكن موقفك هو اللي اضطرني اني اقول كدة، وياريت حضرتك ماتسألنيش عرفتي المعلومات دي ازاي لاني مش هاقول ، انما انا بأكدلك يادكتور ان المعلومات مؤكدة وسليمة مية في المية ، احنا لو سيبينا الشخص ده يفلت بعملته هاي عمل ده مع سنات تانية غيري وغير السنات دول .

لاننت ملامح الطبيب علاء و بدا عليه أنه قد تراجع عن موقفه قائلاً..

- عايزة تعرفي ايه بالطبط ياانسة؟
- عايزة أعرف قصة حياته، يعني زي ماقلت لحضرتك علاقته بأبوه وأمه

بدأ دكتور علاء في سرد حكاية حسام قائلاً ..

- حسام اتولد و اتربى في بيئة غير سوية وغير صحية نفسياً بالمره ، أبوه كان ضعيف الشخصية، ومامته على العكس تماماً كانت شخصيتها قوية، وهي اللي مسيطرة على البيت وعلى أبوه نفسه، وكانت ليها علاقات كتير مش مظبوطة، علاقات برجاله في مناصب كبيرة في الدولة وده خلاها قدرت توصل لمجلس الشعب وتبقى عضوة في البرلمان، حسام شافها أكثر من مرة في أوضاع مش مظبوطة مع رجاله غريبة، والمصيبة إن ده كان بيحصل في بيت الزوجية، وده خلى حسام يكره أمه ويفقد احترامه ليها، وخلي عنده نزعة انتقامية ناحية أمه، وكان بينتقم منها في كل ست بيقابلها، وكان بيتعمد اختيار السنات المتجوزين ، وكان بيستخدم ذكأوه الحاد في إنه يوقع أي ست باقل مجهود، لأن زي مانتي قولتي هيئته وشكله ولباقته كمان بيخلوه مصدر جاذبية وثقة لأي ست ، لما جاني المستشفى وطلب مني مساعدته عشان أعالجه، وقتها قالي إنه نفسه يبطل يعمل كدة لأن ضميره بيأنبه، وإنه مش عايز يكمل في الطريق دة، وطبعاً أنا بدوري كطبيب نفسي معالج له كنت بساعده، وكان فعلاً بيوقف ويبطل، لكن كان بيرجع يعمل كدة تاني بعد مدة قصيرة كل ما كان بيكتشف علاقة جديدة من علاقات أمه المشبوهة، بس هو عمره ما قالي انه كان بيصور السنات

اللي بيوقعهم ، دي معلومة جديدة بالنسبة لي، ومعرفش ليه خباها عليا وايه هدفه من تصويرهم اصلاً، المهم اني فضلت معاه لحد ما خف تماماً وانا لما اتأكدت بعد فترة كبيرة من علاجه إنه بقى إنسان سوي كتبته شهادة بكدة، ومن وقتها ماشوقتوش وماسمعتش عنه أي أخبار في الحقيقة

- طيب لو طلبت شهادة حضرتك في المحكمة هاتروح وتشهد باللي حضرتك قولته دلوقتي ؟

نظر إليها يوسف المندهبش مما سمعه من دكتور علاء ومن ماري، وقبل أن يجيب دكتور علاء على سؤال ماري، بادر دكتور يوسف بسؤال ماري ..

- أنسة ماري ، عندي سؤال فضولي ، اسمحيلي اسألهورك إذا كان السؤال مش هايضايك

- اتفضل

- العلاقة بينك وبين اللي اسهه حسام ده وصلت لإيه بالضبط ؟

- لا دماغك ماتروحش لبعيد يادكتور، اللي بيني وبينه لا يتعدي علاقة خطيب بخطيبتهوبس، يعني حتى لو مكونتش اكتشفت حقيقته مكونتش هاسمحله يلمسني قبل الجواز، انا متربية وبفهم في الأصول كويس

لا تدري ماري سبب الارتياح والابتسامة العريضة التي لاحظتها على وجه الطبيب يوسف من إجابتها على سؤاله، ولكنها استدركت موجهة حديثها للدكتور علاء ..

- ها يادكتور علاء ماجاوبتنيش، لو طلبت شهادتك في المحكمة هاتروح وتشهد معايا؟

تنهد دكتور علاء تنهيدة عميقة وأجاب ..

- بعد كل اللي قولتیه ده ماينفعش ما أروحش اشهد بالحقيقة وإلا أبقى بضلل العدالة

- الحمد لله طمنتني، أستأذن انا ونتقابل في المحكمة إن شاء الله .

همت للمغادرة فطلب منها دكتور يوسف إيصالها ..

- تسمحيلي أوصلك ؟

- لا ميرسي يادكتور ، انا عارفة طريقي كويس ، عن إذنكوا

\*\*\*\*\*

خرجت ماري من بيت الطبيب علاء محددةً مراحل خطتها بالترتيب، ستحاول الوصول أولاً إلى أي امرأة من السيدات اللتي كان حسام على علاقة بهن كي تعزز موقفها في القضية، ثم تهاتف حسام في الخطوة التالية وقبل الأخيرة كي تفصح له عما اكتشفته عنه ونيبتها في مقاضاته وفضحه أمام الناس، ثم تأتي

المرحلة الأخيرة وهي جمع كل الأدلة والمستندات التي تثبت ادانته وتورطه في أفعال مشينة، والذهاب إلى أقرب مركز شرطة وتحرير محضر ضده .

كلما حاول قلبها الصفح والغفران أبي عقلها إلا أن يحرضها على الثأر لكرامتها، وكلما أشتعلت نيران الذكريات الحلوة معه بداخلها أخدمتها بتذكير نفسها بخديعته، هي الآن لا تدافع عن حقها فقط، وإنما وضعت نفسها في موضع المحامي الذي يدافع عن كل النساء اللواتي وقعن في حباله، وتجنب نساء أخريات من الوقوع في نفس المصير ، الصراع بين قلبها وعقلها صراع مميت أطاح بالنوم بعيداً عن مقلتيها، وأبدله بالسُهد والبكاء، تُرى من سينتصر في النهاية؟ هل تغفر له في اللحظة الأخيرة وتراجع عن موقفها ورغبتها في الانتقام وتفوض أمرها لله فهو خير منتقم ؟ أم أنها ستغلب عقلها على قلبها وتنتقم هي لنفسها بنفسها ؟ ماذا ستختار؟ الحب أم الانتقام!؟

أن تتجرع مُر الحقيقة أفضل من العيش في الزيف والكذب

أحضرت ماري الاسطوانات مرة أخرى لا لتشاهدها هذه المرة ولكن لتقرأ البيانات المدونة على اغلفتها ومحاولة الاتصال بصاحباتها ، لاحظت شيئاً لافتاً للانتباه لم تلحظه من قبل، لاحظت بجوار الاسم النسائي المدون على كل اسطوانة لاحظت وجود علامة + يتبعها اسم ذكوري، قرأت على غلاف الاسطوانة الأولى اسمي سارة محمود مصطفى + صلاح عامر عبيد، طلبت رقم الهاتف المحمول المدون على الغلاف مع الاسمين ولكنها وجدت الهاتف غير متاح ، تناولت اسطوانة أخرى مكتوب عليها اسم يسرا عاطف عبدالحميد + حازم المهدي وطلبت الرقم المدون على الغلاف أتاها رنين ولكن لم يأتيها رد ، عاودت الاتصال بنفس الرقم فأتاها الرد ..

- الو
- الو ، ايوة استاذة يسرا عاطف عبدالحميد
- ايوة يافندم ، مين معايا؟
- انا اسمي ماري، حضرتك ماتعرفنيش بس انا محتاجة اقابلك ضروري لأمر يخصك
- أمر يخصني أنا؟ أمر ايه؟
- مش هاقدر اوضحلك في التليفون اكثر من كدة، يفضل اقابلك عشان نتكلم براحتنا
- انا اسفة ماتعودتش اقابل حد ماعرفوش، لو حضرتك ماقولتليش عاوزاني في ايه، يبقى انا مضطرة اقلل الخط

كانت على وشك غلق الخط لولا أن ماري عاجلتها بكلمة جعلتها تتراجع ..

- حازم المهدي

تلجم لسان يسرا فور سماعها الاسم وقبل أن ترد استطرقت ماري ..

- أظن انك تعرفي الاسم ده كويس وعارفة انا أقصد ايه، من فضلك قابليني النهاردة الساعة 6 المغرب في كازينو الشجرة اللي على النيل ، وماتخافيش انا مش ناوية أذكي ولا أضرك ، انا بس هاتكلم معاكي كلمتين مهمين ومش هاخذ من وقتك اكثر من نص ساعة
- أغلقت يسرا الخط ولكنها شعرت بالخوف بمجرد ذكر اسم حازم على لسان تلك الفتاة التي لاتعرفها، خيل لها في هذه اللحظة أن كل الناس عرفت بعلاقتها به، وان تلك الفتاة تريد مقابلتها لابتنزازها.
- أما ماري فتناولت الاسطوانة الثالثة وقرأت الاسمين المدونين عليها حنان عبدالتواب السيد + شريف ناصر البنا ، طلبت الرقم المحمول المدون على الغلاف ، دهشت حنان من ظهور رقم غريب على شاشة هاتفها المحمول ، هي لم تعتد ان تهاتفها أرقام غريبة، ردت ..

- ألو
- صباح الخير
- صباح النور

- مدام حنان عبدالنواب السيد؟
- ايوة
- معاكي ماري اسحاق يعقوب
- اهلاً وسهلاً، أي خدمة؟
- في الحقيقة أنا عايزة اقابلك عشان حاجة مهمة تخصك
- اللي هي ايه يعني الحاجة المهمة اللي تخصني دي ؟
- هاتعرفي لما اقابلك، وقبل ماتوافقي او ترفضني الموضوع يخصك انتي وشريف

تلعثت حنان وحاولت انكار معرفتها بصاحب الاسم المذكور

- شريف مين؟ انا معرفش حد بالاسم ده !
- معقول! مع انه هو يعرفك كويس اوي
- انتي عايزة ايه بالظبط؟
- مانا قولتلك عاوزة اقابلك ضروري عشان مصلحتك، تعالي النهاردة كازينو الشجرة اللي على النيل الساعة 6 المغرب ، ما تتاخرينش، ماشي؟

قالتها ماري بنبرة بها نوع من التهديد كي تجبر حنان على مقابلتها

- ماشي ، هاجيلك الساعة 6 في كازينو الشجرة لما اشوف اخرتها

أنهت ماري المكالمة واغلقت الخط، وتناولت الاسطوانة الرابعة والأخيرة والتي باسمي شهيرة أحمد عبدالجواد + أحمد سعيد المصري لكن الرقم كان غير متاح مثل الرقم الأول ، عاودت الاتصال أكثر من مرة بالرقمين الأول والأخير ولكن كل مرة كانت تحصل على نفس النتيجة .. الهاتفين مغلقتين.

في الزمان والمكان المحددين ذهبت ماري وبحقيبتها المظروف الأصفر الكبير وبداخله كل الأدلة التي تدين حسام، فور جلوسها على مقعد المنضدة المطلة على النيل جاءت واحدة من السيدتين اللتين هاتفتهما ومعها طفل صغير، من هيئتها عرفت أنها حنان ، كانت ترتدي بلوزة مزركشة بأكمام طويلة وجونلة طويلة تصل إلى أخصص قدميها ، وحجاب يغطي رأسها إلا من خصلة صفراء تطل من تحت الحجاب، وقفت عند باب الكازينو تنظر إلى المناضد فأشارت لها ماري من بعيد ، فاقتربت من المنضدة التي تجلس عليها ماري فقامت ماري لاستقبالها ..

- انتي حنان مش كدة؟

ردت محنان بغيظ من أجبر على المجيء ..

- ايوة انا حنان، انتي بقى اللي كلمتيني الصبح وبتهدديني ؟
- انا مش بهدذك ، اتفضلي اقعدني بس وانتي هاتفهمي اني مش بهدذك واني عايزة مصلحتك زي ماقولتلك في التليفون

جلست حنان وجوارها ابنها

- دة ابنك؟
- ايوة
- اسمه ايه؟
- مهند
- الله اسم جميل

داعبت ماري مهند ومدت يدها له لتصافحه

- ازيك يانودي
- الحمد لله ، ازيك انتي
- انا كويسة ياقلبي، انت أمور خالص زي ماما

ثم وجهت كلامها لحنان ..

- ربنا يخليهولك
- شكراً، ممكن اعرف بقى عايزاني في ايه؟ انا مستعجلة وعايزة ارجع البيت قبل ماجوزي يرجع من شغله
- مش هأخرك ماتقلقيش ، انا بس مستنية ست تانية جاية هاتشاركنا القعدة

انتفضت ماري فزعاً، وهمست لماري حتى لا يسمعها ابنها ..

- ست تانية ؟ انتي جبتي سيرة شريف لحد غيرنا احنا الاتنين ؟
- لا خالص ما تخافيش ، اهي الست اللي بقولك عليها جت اهي

التفتت حنان ناحية الباب حيث تنظر ماري، رأتا سيدة رشيقة ترتدي نظارة شمسية عسلية اللون، وشعرها طويل مرفوع على شكل ذيل حصان، ترتدي بنطالاً أسود وبلوزة زرقاء اللون ، نهضت ماري لاستقبالها ..

- اهلا استاذة يسرا
- انتي ماري؟
- ايوة اتفضلي

أشارت لها بالجلوس ، جلست يسرا متعجبة من وجود شخص ثالث حيث كانت تعتقد أنها ستقابل ماري بمفردها، نظرت للسيدة الأخرى وتبادل الثلاث نساء النظرات في توجس فبادرت ماري بالحديث ..

- طبعاً انتوا ماتعرفوش بعض

ثم أشارت بيدها مقدمة كل واحدة للأخرى ..

- يسرا ، حنان ، ممكن ياحنان تخلي مهند يلعب مع الأطفال على المرجيحة اللي هناك دي ،  
مايصحش يسمع الكلام اللي هانقله دلوقتي

نظرت حنان إلى ابنها وفكرت أنه بالفعل لا يجب أن يعرف أن أمه كانت على علاقة برجل غير أبيه،  
فأخذته من يده وذهبت به إلى حديقة الأطفال المقابلة لهم ووضعته عليها وأوصت به الاطفال الأكبر منه سناً  
، ثم عادت لتتضم مرة أخرى إلى ماري ويسرا ، تكلمت ماري ..

- طبعاً كل واحدة منكوا فاكرة اني أعرف الثانية، لكن الحقيقة احنا الثلاثة مانعرفش بعض، وأول  
مرة نتقابل

تعجبت السيدتان، فبدأت ماري بالتوضيح حتى تزيل الغموض الذي اكتنف هذه الجلسة المريبة بالنسبة  
لضيفتيها ..

- صحيح اننا مانعرفش بعض لكن بتجمعنا حاجة واحدة وبيربطنا راجل واحد

نظرتا إليها بنظرات أكثر دهشة ، فأردفت ..

- هاوضحلكوا الصورة

- ياريت عشان اظن محدش فينا فاضي يسمع أغاز

- على مهلك عليا يايسرا، اصبري، انا جايالك في الكلام اهو

ثم أخرجت من حقبيتها المظروف الأصفر الورقي الكبير واخرجت منه ثلاث بطاقات شخصية ووضعتهم  
أمامهما على المنضدة

- بصوا معايا كدة

نظرت السيدتان فوجدتا أن البطاقات الثلاث تحمل صورة شخص واحد ولكن بثلاثة أسماء مختلفة ، أخذت  
يسرا الثلاث بطاقات وقربتهم نحو ناظرها متفحصة إياهم بشكل أكثر تدقيقاً وتساءلت ..

- ايه دول؟ انا مش فاهمة حاجة !

فأتبعنها حنان ..

- ولا انا فاهمة حاجة

فأجابتهما ماري ..

- معاكو حق، أنا برضو حصلي زيكوا كدة بالظبط أول ماشوفت البطايق دي ، مكونتش فاهمة

حاجة، وحتى بعد ما فهمت مكونتش قادرة أستوعب الموضوع من الصدمة

- انتي عايزة تقولي إن البطايق دول كلهم لشخص واحد ؟

- بالظبط يايسرا، حازم هو شريف هو مينا ؟

- يعني ايه؟ يعني شريف مش شريف؟ طب هو ضحكك عليا ليه واداني بيانات غلط عنه؟ وهو انه ي واحد في دول؟
- مش هاتصدقني لما اقولك انه هو ولا واحد في دول ياحنان ، الشخص اللي صورته في البطايق دي هو شخص مُزور ، ومش بس كدة، دة كمان محترف الإيقاع بالسنتات واللعب بمشاعرهم زي مالعب بمشاعركو ومشاعري انا كمان
- بدت الصدمة بوضوح على ملامح يسرا وحنان بدتا غير مصدقتين ما قالته ماري، وأجابت حنان مرتبكة..
- مشاعرنا ايه يااست انتي؟ اتكلمي عن نفسك وبس، انا مفيش حاجة بيني وبينه الشخص دة أصلاً
- ماتخافيش مني ياحنان، وماتنكريش، لاني متأكدة من اللي انا بقوله
- متأكدة ازاي يعني؟
- اهو دة اللي طلبت اقبالكم علشانها ، الشخص دة اسمه حسام ودي بطاقته الحقيقة
- أخرجت من المظروف بطاقته الحقيقية ووضعتها بجوار البطاقات الثلاث، فانفعلت حنان قائلة..
- عموماً انا قطعت علاقتي بيه خلاص، مايهمنيش إذا كان اسمه شريف ولا حازم ولا مينا ولا حسام، ولا عفريت أزرق حتى .
- ردت عليها ماري ..
- جايز مايهمكيش دلوقتي
- ثم أخرجت مظروف الاسطوانات وأخرجت منه اسطوانتي حنان ويسرا ، وأمسكت باسطوانة حنان ثم أردفت .
- إنما بعد ماتشوفي السي دي دة أكيد هايهمك
- تناولت حنان منها الاسطوانة متساءلة ..
- وايه دة كمان؟
- ثم ونظرت إلى غلافها، وتساءلت ..
- واسمي ورقم تليفوني مكتوبين عليها ليه؟
- انا اسفة في اللي هاقولها لكو دلوقتي ، بس انا عاوزاكم تتماسكوا لما تعرفوا الموجود في السيديهات دي
- قلقت يسرا من مقدمة ماري وخاصةً بعد رؤيتها اسمها على إحدى الاسطوانات ..
- ايه اللي جوة السيديهات دي؟ قلقتينا ، اتكلمي على طول لو سمحتي بلاش مقدمات

- دي سيديهات كان حسام مسجل عليها فيديوهات لكل واحدة فيكم وهي - سوري يعني - معاه في السرير...ثارت يسرا!
- ايه اللي انتي بتقوليه ده؟ أصلاً أنا ماحصلش حاجة بيني وبين حازم أكثر من كونها علاقة عاطفية
- والله مش أنا اللي بقول يايسرا، السيديهات هي اللي بتقول كدة ، بصوا أنا عايزاكم تظمنوا أنا لا جاية ابتزكوا ولا استغل السيديهات دي ضدكوا، بالعكس احنا كلنا في مركب واحدة ، أنا اصريت اقبالكوا عشان نفكر مع بعض ازاي نقدر نخرج كلنا من المصيبة اللي وقعنا فيها كلنا دي
- انتي برضو كنتي على علاقة بيه ؟
- لأ ، أنا خطيبته
- اه يبقى البطاقة اللي باسم مينا هي اللي ضحك عليكى بيها
- بالظبط كدة بداتي تستوعبي يايسرا
- يعني انتي برضو هو مصورك وانتى معاه في السرير ؟
- لا أنا بالنسبة لي الموضوع مختلف، صحيح أنا روحت معاه شفته لكن الحمدلله ماحصلش بيني وبينه أي حاجة
- ولما ما حصلش بينك وبينه حاجة مهمة ليه أوي كدة بيه وباللي عرفته عنه؟!
- واسيبه يفلت بعملته السودا دي بسهولة كدة؟
- طيب ممكن اعرف انتى بتفكري في ايه؟

نظرت ماري إلى حنان التي لادت بالصمت مدة طويلة، وسألت ..

- ايه ياحنان، سرحانة في ايه؟ ومش بتشاركينا الكلام ليه؟!

لم ترد حنان ، حيث كانت تنظر بعيداً تجاه ابنها الذي يلهو على الأرجوحة في سعادة مع الأطفال، تفكر في صورتها أمامه إذا ما افتضح أمرها وعرف أنها كانت على علاقة برجل غير أبيه، صحيح أنه في سن صغيرة جداً لا تسمح له باستيعاب مثل تلك الأمور، لكنه سيفهم حين يكبر أن أمه التي يحبها امرأة خائنة ! نادتها ماري مرة اخرى ..

- حنان...حنان

فانتبهت حنان أخيراً ..

- أيوة

- مالك، روحتي فين؟ انتى مش معانا خالص
- لا ابدأ أنا معاكوا ، الظاهر ان ربنا بيعاقبني ومش مسامحني على غلطتي، وعشان كدة أراد انه يفضحني .

بكت حنان بحرقة فربنت على ظهرها ماري محاولة طمأنتها ..

- ماتخافيش ياحنان ، ولا انتي كمان يايسرا ، محدش هايعرف حاجة عن علاقتكم بالشخص دة ، انا هارفع قضية عليه وهاتهمه فيها بالتزوير وبالاستغلال الجنسي لأكثر من سيدة وتصويرهم بدون علمهم .

انتفضت حنان ..

- لأ طبعاً ماتعمليش كدة، انتي كدة تبقي بتفضحيننا احنا

وأيدتها يسرا ..

- وانا برضو مش موافاكي على اللي بتقوليه دة ياماري، انتي فعلاً كدة تكوني بتفضحيننا احنا قبل ماتفضحيه هو
- ماتخافوش، السيديهات دي قبل ما اوديها للمحكمة هاظبطها ببرنامج مونتاج بحيث ما يظهرش وشكوا فيها، يعني محدش هايقدر يتعرف عليكوا
- طيب ونضمن منين انه مش عنده نسخ تانية أو حتى عامل لها حفظ على جهاز الكمبيوتر بتاعه؟! دة محترف تصوير ومونتاج وفوتوشوب بحكم شغله كمصور
- من الناحية دي اطمني، انا اتأكدت إن اللاب توب بتاعه مش عليه نسخة من السيديهات ومافتكرش انه عامل نسخة تانية من السيديهات ، لأنه أذكى من كدة ، هو كل اللي يهمه واللي بيخليه يسجل لكل ست عمل معاها علاقة إنه يتفرج عليها وهو لوحده مش علشان يفضحهم أو بينزهم بدليل إنه ماحاولش يبيتز أي واحدة فيكم لغاية دلوقتي، مش كدة ؟

فكرت يسرا ثم أجابت ..

- وانتي اتأكدتي منين انه مش معاه نسخ تانية؟

أخرجت يسرا ورقة ووضعتها أمامهما ثم اجابت ..

- بصوا كدة في الورقة دي

نظرت يسرا وحنان في الورقة فسألت يسرا ..

- دي شكلها ورقة رسمية، العنوان بيقول مستشفى العباسية
- دي شهادة تعافي من مستشفى العباسية بتثبت إن حسام كان مريض بانفصام شخصية وإنه اتعافى وأصبح شخص سوي، الشهادة دي بتقول إنه اتعافى من خمس سنين، لكن الحقيقة إنه مازال يمارس نفس افعاله القذرة دي زي ماكان يمارسها في نفس فترة علاجه

تعجبت حنان من كم المعلومات الهائلة التي بحوذة ماري وتساءلت ..

- انتي عرفتي الحاجات دي ازاي؟ ومنين جبتي الشهادة والاسطوانات دي ؟

- هاقولكوا، انا عرفت في الأول انه مزور بالصدفة، لما لقيت بطاقته الحقيقية واقعة على الأرض في شفته، بعدها قدرت أسرق مفاتيحه وادخل شفته في غيابه وخذت كل الحاجات دي من خزنته، ومش بس كدة دانا كمان قدرت اوصل للدكتور اللي كان بيعالجه زمان وطلبت منه انه يشهد معايا في المحكمة ، هو مكانش موافق في الأول لكن الحمدلله وافق اخيراً وهايشهد معايا
  - يعني انتي روحتي شفته، امال بتقولي ازاي انه ماحصلش حاجة بينك وبينه؟!
  - انا فعلا قلت كدة وفعلا ماحصلش حاجة بيني وبينه لاني ماقدتنيش معاه اكثر من عشر دقائق ، ومادخلتنيش معاه اوضة النوم، انا كنت قاعدة في الصالون وهو كان في المطبخ
  - اه فهمت، تعرفي انه اخذ مني الفين جنيهه قالي إنه محتاجهم علشان يشتري كاميرا جديدة لشغله ، لا والمصيبة انه كان طالب مني خمس الآف جنيهه بس انا قولتله مش معايا الا الفين بس ، خدهم مني وقالي انه هايبردهوملي اول ما يجيله فلوس
  - يابن النصابة، يعني مش بس بيستغل الستات عاطفياً وجنسياً لأ وكمان بيستغلهم مادياً، دة بتاع كله بقى ، ماخلاش
  - المهم خلونا في مصيبة الاسطوات دي دلوقتي هانعمل فيها ايه، لو جوزي عرف الموضوع دة هايطلقني وهايحرمني من ابني وهاتفصح قدامه وقدم كل الناس .
- قالتها حنان بصوت مرتعش ثم عادت للبقاء ، فقامت ماري بطمأننتها وتهديتها ..
- اهدي ياحنان، ان شاء الله مفيش حاجة من كل دة هاتحصل ، مش هاسمحله يفلت بعملته، ولا انه يبوظ حياة اي واحدة فينا ، عشان كدة لازم اسجنه .
  - طيب واحنا هانستفيد ايه من سجنه ياماري؟ افسخي خطوبتك منه وخلص واحمدي ربنا انه مالمسكيش ولا صورك، انا كمان ماقدرش اوافقك على موضوع البلاغ والنيابة والمحكمة دة خالص ، انا جوزي مسافر ولو عرف اني على علاقة براجل غيره شكلي هايبقى زبالة قدامه وقدم أهلي وأهله، وخاصة أهلي دول ناس صعايدة ومسألة الشرف عندهم تطير فيها ارقاب،والناس هايقولوا ماعرفتش تصون عرض جوزها في غيابه ، ارجوكي بلاش حكاية البلاغ دي وهو ربنا ينتقم منه ويجيبنا حقنا منه وخلص.
  - يايبرا افهميني، احنا لو بعدنا عنه وسبيناه من غير ما يتحاكم هايكرر اللي عمله معنا ويا ستات تانية غيرنا ويروح ضحيته ستات كتير غير ضحاياه اللي قبل كدة، وياستي اطمني انتوا مش هاتكونوا في الصورة خالصانا اللي هاقدم فيه البلاغ لوحدي، انا بس حبيت اعرفكم حقيقته علشان لو لسة مخدوعين فيه وعلى علاقة بيه تقطعوا علاقتكم بيه فوراً ، بصوا انا مقدره موقفكوا انتوا الاتنين وزي ماقولتلكوا محدش هايعرف انكوا انتوا اللي في الفيديوها دي وهاغير اغلفة السيديهات باغلفة تانية فاضية عشان اساميكوا واراقم تليفوناتكوا ماتتعرفش.

نظرت يسرا إلى حنان كأنها تسالها عن رأيها في كلام ماري، ثم نظرنا إلى ماري في توجس ، فطمأنتهما ماري قائلة..

- صدقوني أنا عمري ماهضركوا، انا بخاف عليكموا زي مانتوا خايفين على نفسكوا ويمكن اكثر كمان

فردت حنان ..

- خلاص اللي شايفاه صح اعمليه وربنا يكفيننا شر الفضيحة

ثم نظرت إلى السماء كأنها تناجي الله ، فأعقبتها يسرا قائلةً ..

- ربنا يستر

لو رأيت نفسك وأنت ترتكب إثمًا ستدرك حينها مدى  
رحمة الله بعباده

عادت حنان إلى بيتها محملة بالهموم والمخاوف والهواجس، تخشى افتضاح أمرها وخاصةً أمام زوجها الذي تحدّى أمه من أجلها، تخيلت لو أن علاقتها الأثمة بذلك الشخص المريض عُرفت ستكون حمايتها هي أول اللائمين ، ستقول لابنها حينها : "ألم أقل لك لانتزوحها؟! ألم أحذرك من سلوكها قبل الزواج؟ لكنك ومع ذلك تحديتني وتزوجتها رغماً عن أنفي، وها هي النتيجة، انكشفت حقيقتها أمامك، خذ منها الولد وألقها في أقرب مقلب للقمامة ، المكان الوحيد الذي تستحقه هذه الفاجرة اللعوب"، تخيلت أن الناس ستشير إليها في الشارع وتقول "هاهي الساقطة الخائنة التي لم تخشَ الله ولم تحترم زوجها، المنحلة التي خالفت الأعراف والتقاليد" غاص قلبها بين ضلوعها بمجرد التفكير في تلك الأمور، احتضنت ابنها بقوة، كأنها تعتصره بذراعيها لتدخله إلى أحشائها كالقطة التي تأكل أبناءها فور ولادتهم اعتقاداً منها أنها تعيدهم إلى رحمها خشيةً عليهم من تعرضهم لأي خطر محتمل ، حين صرخ مهند ، بين ضلوعها قَبْلَته في حنو و عيناها مقروقتان بالدموع، أحضرت له العشاء وأطعمته ثم حممته ووضعتة في فراشه وهددته حتى نام، خرجت من غرفته إلى الصالة حيث جهاز الكمبيوتر ، أخرجت من حقيبتها تلك الاسطوانة المشؤومة ووضعتها في جهاز الكمبيوتر وقامت بتشغيلها، ما إن فتح الفيديو حتى جحظت عيناها ، نعم هي كانت تعلم من ماري محتوى الاسطوانة لكن المعرفة شيء والرؤية بالعين شيء آخر، أن ترى نفسك وأنت ترتكب إثماً تشعر بالتقرز والرغبة في التقيؤ، تتساءل: كيف فعلت ذلك الإثم يوماً ما؟! وكيف سيسامحني الله عز وجل على خطيئتي تلك إذا كنت أنا لأقدر على مسامحة نفسي؟! يبدو أن لعنة ذلك الشخص تأبى إلا أن تطاردني طيلة حياتي رغم إنني تركته وابتعدت عنه وقطعت علاقتي به منذ عدة أسابيع برغم محاولاته لبقائي معه .

وبينما تطاردها أشباح الخوف والندم، سمعت مفتاح باب الشقة يتحرك في مكانه المخصص لفتح الباب وجدت نفسها بطريقة آلية وبشكل تلقائي وسريع تنتزع فيشة الكمبيوتر من مكانها تحاشياً لرؤية زوجها للكارثة التي في الفيديو، فتح زوجها الباب ودخل ليجدها جالسة أمام الكمبيوتر بينما شاشته مغلقة فتعجب قائلاً ..

- مساء الخير ياحنان، انتي قاعدة قدام الكمبيوتر وهو مقفول؟!!

ردت بصوت مرتبك تملؤه الرعدة ..

- مساء النور يا حبيبي، لأ اصل أنا كنت فاتحاه ولسة قافللاه حالاً

جلس مجدي على الكنبه التي بجوار باب الشقة وهو يتأوه ..

- اه يارجلي، بعد إندك يا حنان ممكن تجيبيلي شوية مية سخنة اغسل بيهم رجليا ، تعبان جداً من

الوقفه طول النهار

- اه اه طبعاً حاضر ، ثانية واحده

توجهت حنان إلى الحمام وأحضرت طبقاً من البلاستيك به كمية من الماء الدافئ ووضعته تحت أرجل زوجها، ثم اتجهت إلى المطبخ وأحضرت القليل من الملح و اضافته للماء الدافئ، وجلست على الأرض تغسل قدمي زوجها ، تعجب مجدي من تصرفها فهو لم يعتد أن تغسل له حنان قدميه ، في الواقع لم تكن حنان تقوم بغسل قدمي زوجها في هذه اللحظة لكنها تغسل ذنوبها بهذا الماء المملح المطهر للجروح والمرض للآلام والأوجاع ، سألت دموعها على خديها، فتساقطت قطراتها الحارة على قدمي زوجها دون إرادتها، لاحظ زوجها بكاءها فمد يده ورفع وجهها ولاحظ انكسار عينيها اللتين لم تقوي علي النظر إليه !

- مالك يا حنان؟ انتي بتعيطي؟!!

انفتحت ينابيع الدموع في عينيها وزاد بكاءها وكأن كلمة "مالك" قد لكزت بداخلها جرحاً أقوى من أن تخفيه ، ربّت على شعرها وخدها ثم جذبها من ذراعها وأجلسها بجواره ومسح بيده دموعها ..

- في ايه يا حبيبتني؟ قفقتيني عليك، في حاجة حصلت وانا مش موجود؟ مهند كويس

- لا مفيش حاجة ومهند بخير الحمد لله

- طيب امال في ايه بس؟

- مفيش حاجة بس اصلي طول اليوم بفكر في امي الله يرحمها أصلها وحشتني اوي

- الله يرحمها ويحسن اليها

احتضنها وربت على ظهرها ثم أردف ..

- تعالي ندخل اوضتنا

- مش هانتعشى؟

- لأ مش جعان ، تعالي

نهض من على الأريكة جاذباً إياها من ذراعها متجهاً إلى غرفة نومهما فاستوقفته قائلاً ..

- طيب اسبقني انت وانا هاجي وراك

- ماشي ، بس بسرعة ماتتأخريش

قَبَلُها في شفتيها قبلة المشتاق لشهد زوجته ثم سبقها للغرفة ، تناولت الطبق البلاستيك وأدخلته الحمام وسكبت الماء ، وخرجت إلى الصالة متسللة على أطراف أصابعها، فتحت جهاز الكمبيوتر ثم أخرجت الاسطوانة منه بسرعة ثم أغلقت الجهاز مرة أخرى ، ودست الاسطوانة في حقيبتها وأحكمت إغلاقها، ثم لحقت بزوجها إلى غرفة النوم، لاحظ مجدي تغيرها الواضح معه في الفراش، ولاحظ أيضاً شلال الدموع المتدفق من عينيها فانزعج متساءلاً ..

- دي مش قصة انك افنكرتي امك الله يرحمها بقى، كدة في حاجة انتي مخيياها عليا
- معلش يامجدي استحملني، انا نفسيتي تعبانة اليومين دول مش عارفة مالي
- طيب يا حبيبي تحبي اخرجك بكرة انتي ومهند احنا بقالنا كثير ماخرجناش مع بعض

توقع انها ستسعد بفكرة التنزه تلك والتي لطالما تشاجرت معه بسببها، لكن ما أدششه أنها رفضت الفكرة وطلبت منه طلباً آخر غريباً عليها وعليه ..

- لأ انا عاوزة منك حاجة تانية، نفسي ازور آل البيت واولياء الله الصالحين
- غريبة، اول مرة تطلبي مني طلب زي دة، بس عموماً حاضر ياستي من عينا، بكرة اخذك انتي ومهند ونروح نزور الحسين والسيدة زينب
- لا معلش يامجدي انا محتاجة اروح لوحدي، هاودي مهند الحضانة الصبح واروح انا ساعة زمن وهارجع على طول، والحسين قريب مننا يعني مش هاتأخر، وانت روح شغلك عادي ماتعطش نفسك .

للمرة الثانية يندش مجدي من رغبة حنان في أن تنفرد بنفسها في تلك الزيارة الروحية ، فساورته الشكوك ، فكر في انها لاتنوي الذهاب لزيارة آل البيت وانها قد تنوي زيارة بيت آخر ليس من بيوت الله، لا لا لا ماذا تقول؟ استغفر الله العظيم، ولكن ما سبب اصرارها على ذهابها بمفردها؟ لماذا اشغل نفسي بتلك الافكار المتعبة ؟ سأتاكد بنفسي إذا ما كان ما أفكر فيه صحيحاً أم أنها مجرد ظنون .

في اليوم التالي نزل مجدي من بيته مبكراً كعادته قاصداً محل عمله بالمدرسة، وبعد حوالي ساعة نزلت حنان وبيدها مهند، أودعته في دار الحضانة وأكملت طريقها، لم تكن تعلم أن مجدي يراقبها من بعيد، وأنه لم يذهب إلى عمله مثلما أخبرها .

لاحظ مجدي أنها ترندي عباءة وطرحة سوداء على غير عاداتها، وأنها لا تضع أياً من مساحيق التجميل على وجهها ، ظل سائراً خلفها ، مشت على اقدمها مسافة ثلاثة شوارع من بينهم ، اطمأن قلبه حين رآها تتجه ناحية مقام الحسين، تنفس الصعداء مبتسماً حين لمحها تخلع نعليها وتلج المسجد .

حين ولجت حنان المسجد اتجهت ناحية مقام الحسين، ووقفت تناجي ربها والدموع في عينيها تأبى إلا أن تتوقف وطفقت تناجي ربها ..

- يارب سامحني وارحمني، انا عارفة اني غلظت، لكن عارفة كمان انك رحيم بتسامح و تغفر عبادك الخطائين، ارجوك يارب ماتفضحنيش ، واسترني ياستار العيوب وياغفار الذنوب، لو مش

عشاني يبقى عشان ابني مهند، مش عايزاه يكرهني في يوم من الايام أو يحتقرني او إني اتحرم منه ويبعد عني، وجوزي مجدي يارب ، انت عارف انه لو عرف عني حاجة زي دي ممكن يروح فيها انت عارف يارب هو بيتق فيا قد ايه دة عمره ما شك فيا ولا عمره يتوقع اني اخونه، يارب انت عارف المصيبة اللي انا واقعة فيها، حلها من عندك ياحلال العقد والمشاكل، يارب انت عارف اني ندمت وتبت حتى من قبل ما اعرف موضوع الفيديو دة، وانت اعلم بالضمائر وما تخفيه السرائر يارب العالمين، استرني يارب من فضلك .

ظلت تناجي الله وقتاً طويلاً للدرجة التي لم تلاحظ معها الوقت، ولا وجود الناس حولها ، انتفضت فجأة حين شعرت بيد حانية تربت على كتفها الأيمن، التفتت فرأت منظرأً عجبياً، رأت رجلاً ذا لحية بيضاء كثة يرتدي جلباباً أبيض وفوقه عباءة خضراء اللون، وعمامة بيضاء، وشالٌ أبيض ناصع على كتفيه، نظر إليها الرجل نظرة حانية وسألها بصوت شديد العمق ..

- مالك يا بنتي؟ بتبكي ليه؟

- تعبانة ياسيدنا الشيخ، وخايفة وندمانة

- ربنا وحده سبحانه وتعالى قادر يريح قلبك

- ونعم بالله، بس انا غلظت غلط كبير قوي وزعلت ربنا مني

- يا بنتي ربنا من صفاته الرحمة والرفقة ، رحيم ورؤوف بعبده بس هو كل اللي عليه انه يتوب

ويستغفر ربنا فهو التواب الغفور

- تبت ياسيدنا الشيخ، والله تبت توبة نصوحة

- يبقى اكيد ربنا قبل توبتك بس انتي إياكي ترجعي للغلط تاني

- عمري ما هارجع للغلط تاني ربنا وحده اللي اعلم بنيتي وضميري

- خدي البسي الشال دة واوعى تقلعيه من على كتفك لحد ماترتاحي خالص

خلع الشال الأبيض من على كتفيه ووضع على كتفها مبتسماً، فقالت حنان فرحةً ..

- الله، الشال ده لون ابيض بياض غريب ماشوفتوش قبل كدة ، يااه وكمان حسيت بسلام وراحة

وسكينة غريبة، او عدك اني مش هاقلعه خالص

وبينما كانت تنظر إلى الشال على كتفها مبتهجة به رفعت ناظريها واذ بالشيخ قد اختفى

- بسم الله الرحمن الرحيم، انت روحت فين ياسيدنا الشيخ؟!!

ولما لم تجده عادت ونظرت إلى الشال فلم تجده على كتفها فعلمت أنها رأت رؤية ، شعرت بعدها بطمأنينة،

وكان هذه الرؤية رسالة أرسلها الله لها ليعلمها أنه قد قبل توبتها وسامحها ، تبدلت ملامحها الحزينة و عيناها

المهمومتان إلى ملامح أكثر بهجة واشراقاً و عينين تلمع فيها الابتسامة ، وعادت الى بيتها وكان جبلاً ثقيلاً

قد ابتعد من على صدرها .

# بين الحياة والموت

أرادت يسرا أن تتخلص من كل ما يذكرها بحازم أو بالأحرى بخطيئتها معه، جمعت كل هداياه واسطواناته التي اهداها إليها في عيد ميلادها مع قطه الذي تحبه "مشمش" ووضعتهم في سيارتها واندفعت بها كأنها هاربة من شيء ، ظلت تسير بسيارتها في الطرقات ووسط السيارات وأضوائها الكاشفة حتى وصلت إلى منطقة نائية ، على جانب الطريق أوقفت محرك سيارتها، وترجلت منها، وأخرجت الصندوق الأسود الذي كان يحوي النقطة السوداء في حياتها ، تناولت الاسطوانات بما فيهم الاسطوانة التي أعطتها لها ماري والتي أسمتها اسطوانة "الهم" ، وقامت بتكسيروهم جميعاً إلى أجزاء صغيرة ، وأضافت إليها الدمى والهدايا الأخرى والتي كانت يهدئها إليها حازم بمناسبة وبدون مناسبة، ثم أشعلت عوداً من الثقاب وألقته عليها بعد أن وضعت قطرات من البنزين عليها، وقفت تشاهد اللهب يتزايد ويتراقص الرقصة الأخيرة، لم تتحرك حتى تأكدت بأن كل شيء قد احترق تماماً وصار رماداً، بقي لها "مشمش" آخر ما تبقى من ذكرياتها معه ، فكرت أن تلقية في الشارع وتتركه لمصيره ، وبالفعل أخرجه من السيارة ووضعه على الأرض ، نظر القط حوله ليجد نفسه وحيداً وسط هذا الظلام الحالك والفراغ الموحش، نظر إليها وأصدر مواءً بنبرة معينة كأنه يستعطفها ألا تتركه هنا وحيداً، نظرت إليه نظرة وداع وركبت سيارتها وأدارت المحرك واندفعت بسرعة خوفاً من اشفاقها عليه ، ازداد مواء القط حين رآها تبتعد بسيارتها ، نظرت إليه في المرأة بالجانب الأيسر ولاحظت علامات الذعر على وجهه ولا زالت عينيه معلقة عليها كأنه يناديها "عودي خذيني معك ارجوك" رق قلبها لنظراته المستجدية فلم تستطع أن تكمل سيرها، وعادت بسيارتها خطوتين للخلف، ترجلت، وحملت القط بين ذراعيها ورببت على شعره وقبّلته باكية ثم أعادته للسيارة ، اندفعت بسيارتها بسرعة كبيرة ، نظرت إلى نفسها في المرأة الأمامية باحتقار شديد، فلقد فقدت احترامها لنفسها، تساءلت .. كيف وافقت رجل غريب على تسليمه جسدي؟ كيف تمكن ذاك الوغد مني إلى هذا الحد؟ كيف أمكنه التأثير عليّ لدرجة الانسياق ؟ دموعها تنهمر من بين جفنيها بغزارة بالدرجة التي غشت عينيها وحجبت عنها الرؤية ، تداخلت الأصوات في أذنيها، صوت زوجها وهو يلقي عليها يمين الطلاق، يقول لها لا يشرفني أن أربط اسمي باسم امرأة مثلك بعد اليوم، صوت ذلك الشخص المدعو حازم أو حسام من دنس جسدها تسمعه يقول لها انت ملكي أنا، فيرتعش جسدها، صوت أمها وعمها وهم يصيحون في وجهها.. أين اخلاقك يابنت الصعيد المهذبة ؟ كيف سمحت لنفسك بأن تضعي رؤوسنا في الوحل وتجعلي سيرتنا علكة في فم كل الناس.

وفوق كل تلك الأصوات العالية علا صوت الضمير الذي لم يكف عن تأنيبها ووخز قلبها بإبر مسنونة وخناجر حادة ، لم تعد تقوى على سماع المزيد فأرادت أن تُسكت كل تلك الأصوات بداخلها، وضعت يديها فوق أذنيها، وخبطت رأسها مرتين متتاليتين في عجلة القيادة كأنها تجبرهم على السكوت أو كأنها تطردهم من رأسها ، بدأت سيارتها في الترنح يميناً ويساراً، لم تلحظ الإشارة الحمراء عند مفترق الطرق ، فوجئت بسيارة نقل ثقيل تظهر أمامها فجأة من ناحية الشمال، حاولت تفاديها لكنها قد تأخرت، ارتطمت بالسيارة النقل ارتطاما مدويا تسبب في انقلاب سيارتها ثلاث مرات ، إلى ان استقرت السيارة على سقفها ، هرول السائقين والمارة نحوها محاولين انقاذها واخراجها من بين حطام السيارة مرددين عبارات مثل .. لا حول ولا قوة الا بالله، ايه اللي خلاها تمشي بالسرعة العالية دي لدرجة انها ماوقفتش عند الإشارة!

اخرجوها من سيارتها بصعوبها والدماء تسيل من رأسها وأنفها، نقلوها الى المستشفى فاقدة الوعي، فور وصولها المستشفى أدخلوها حجرة الطوارئ ومنها حجرة الإفاقة ، قاموا بالإسعافات اللازمة، ثم أدخلوها غرفة العناية المركزة، أبلغوا أهلها بالحادث البشع الذي تعرضت له، فأتوها جميعا فزعين، أمها واخوتها وعمها ، وقفوا ينظرون إليها من خلف الزجاج الشفاف باكين غير مصدقين أنها ترقد على فراش الموت ، لم يُسمح لأحد منهم بالدخول إليها نظراً لخطورة حالتها ، خرج الطبيب بعدما وضعها على جهاز ضبط نبضات القلب قائلاً ..

- إن مرت ثمانية وأربعون ساعة وهي لازالت على قيد الحياة؛ إذن فهي قد تجاوزت مرحلة الخطر، ادعوا لها بالشفاء، فهي الان بين يدي خالقها ولا نملك شيئاً سوى الدعاء لها .

جلست أمها أمام غرفة العناية المركزة تمسك بيدها القرآن وتقرأ لها صورة ياسين والمعوذتين ، أمها التي لطالما ترجتها ابنتها أن تأتي من بلدتهم لتعيش معها لتؤنسها في وحدتها والتي دائما ما كانت ترفض متذرة في ذلك بكرهها لمدينة القاهرة وازدحامها وضوضائها ، وهاهي تجلس الآن بجوارها لا يفصل بينها وبين ابنتها سوى ذاك اللوح الزجاجي تتمنى لو أفاقت ابنتها من غيبوبتها فلن تتركها وحيدة بعد ذلك ابداً، ووقف أخيها وأختها يدعوان لها بالشفاء ، أما عمها والذي لا يزال لا يصدق عينيه التي ترى طفله المدللة ممددة على سرير صغير بالعناية المركزة لا يفصل بينها وبين الموت سوى رفة رمش ودقة قلب ترتسم خطوطه المتعرجة على شاشة صعوداً وهبوطاً مع صوت منقطع يصدر من جهاز يصل بجسدها بمجموعة أسلاك تنبئ بالخطر وباقتراب الموت منها .

تشعر يسرا بكل من حولها، إنها تميز كل صوت من الأصوات جيداً، صوت أمها وهي تقرأ عدية ياسين والمعوذتين، صوت أختها وأخيها وهما يدعوان لها بالشفاء ويرددون كلمة "يارب" ، صوت عمها وهو ينتحب من أجلها خوفاً عليها - تسمعهم بوضوح وترد عليهم وتناديهم بأسماءهم لتطمئنهم عليها ولكن صوتها لا يصل إليهم ، تشعر أن بينها وبينهم هوة كبيرة تحول دون تواصلها معهم ، ثم تعود تحدث نفسها قائلة ..

- اكتشفتُ اليوم حين قاموا بفحصي طبياً وحللوا دمي ليتعرفوا على فصيلته؛ أن ما يسري في عروقي ليس دمًا، ليس دمًا على الاطلاق ، إنه مادة اخرى ليست لها لزوجة كالدم، ليست لها كرات حمراء وأخرى بيضاء، ولا صفائح دموية أو بلازما، ليست A او B او O او AB ، ليس سائلاً لونه أحمر قاني، ليس له لون من الإسهاش، انه كالبخار شفاف بلا لون، كالهواء بلا رائحة،

كالماء بلا طعم ، شيئاً جعلني حين انقلبت بي السيارة ثلاث مرات وارتطمت رأسي بعجلة القيادة ثم بالأرض ثم بعجلة القيادة مرة أخرى، جعلني لم أمت ، بل صرت أحمل على الأعناق إلى أعلى ، حملني رجلين بأجنحة وأجيام بيضاء، ظللت عالقة بين السماء والأرض لقرن من الزمان أو يزيد، لا أهبط على الأرض ولا أريد أن أهبط ، شيئاً غريباً جعلني في حالة تحليق ممتع، خفيفة كروح بدون جسد، أو كريشة في مهب الريح، أتساءل.. هل متُّ أنا الآن أم إنني لازلت على قيد الحياة؟ لماذا لم أعد أشعر بكل تلك الآلام التي كانت تمزق جسدي وتأرق نفسي وتغص في قلبي؟! هل شفيت منها؟ أم أن روحي قد انفصلت عن جسدي الفاني؟ وإن كانت الاجابة الثانية هي الأصح لماذا إذن لم تذهب روحي إلى مكان راحتها؟ لماذا أنا عالقة هنا؟ أين الجنة وأين الجحيم؟ ولكنني ومع هذا لا أشعر بالحيرة أو بالوحدة أو بالخوف أو بوحشة الانتظار، كل ما أشعر به الآن هو السلام والهدوء والاستسلام التام لهذه الراحة التي افتقدتها لسنوات، وأتمنى لو كانت هي الراحة الابدية .

\*\*\*\*\*

قطع أحمد عمله وجاء على أول طائرة قادمة إلى مصر بعد أن كان ينوي العودة في نهاية الشهر والذي بقى على مواعده ثلاثة أسابيع كي تنقضي مدة انتهاء عقده ولا يتعرض للخسارة المادية الفادحة إذا ما قام بفسخ عقده قبل موعد انتهائه ، فكر في إنه فيما سينفعه المال إذا ما فقد يسرا حب عمره، لم يشغل باله في هذه اللحظة إلا يسرا والتي تسكن في القطعة اليسرى من صدره، فور وصوله للمستشفى صار يجري كالمجنون باحثاً عنها في كل الغرف إلى أن علم أنها في غرفة العناية المركزة، ترحى الطبيب كثيراً حتى سمح له أخيراً بالدخول إليها، ما إن رآها ترقد على السرير كالأموات حتى تسمر في مكانه ولم يشعر إلا بدموعه وقد انهمرت على خديه وخانته قدماه وكاد يسقط على الأرض لولا انه تماسك، وخطا خطوتين إلى مؤخرة السرير وترك نفسه يهبط تحت قدميها، أمسك بيدها التي تتصل بالأسلاك المتصلة بجهاز ضبط نبضات القلب ، قرب يدها إلى فمه ولثمها، وزاد في البكاء، رفع نظريه إليها واقترب منها وحدثها ..

- سامحيني يايسرا، حقا عليا ، أنا اكيد السبب في اللي حصلك دة ، بعدي عنك واهمالي ليكي وطموحي في السفر وإثبات ذاتي عموني عنك، بس صدقيني ، أوعدك انه من اللحظة دي مش هاسيبك ثاني يا حبيبيتي، قومي يايسرا انا محتاجلك ، ماتسيبينش، اتمسكي بالحياة عشان خاطري، ، اللي انتي ماتعرفيهوش إن روحي متعلقة بيكي، لو موتي هاموت في اللحظة اللي روحك هاتفارق فيها جسمك، ارجوكي ماتموتيش، انا عارف انك سامعاني وحاسة بيا وعارف ان قلبك الكبير هايسامحني ويغفرلي جرمي في حقا، وساعتها هاعوضك عن كل لحظة عشتيها في وحدة وتعاسة بسببي، انا رجعتلك اهو يا حبيبيتي ونفسي تفوقي وتكلميني، نفسي اسمع صوت ضحكك اللي كانت بتنور وشك ودينيتي، قومي عشان ولادنا اللي هانخلفهم واللي هايملوا علينا البيت ومش هانعرف نقعد من شقاوتهم، مش كنتي دايمًا بتقوليلي انا نفسي نخلف دستة عيال وانا اقولك لأ كثير دستة خليفهم نص دستة كفاية وانتي تقوليلي لا مش هاتنازل عن الدسته ، دلوقتي انا اللي بقولك نفسي تخلفيلي دستة عيال وكلهم بيقولوا شهبك يا حبيبيتي .

ثم انحنى مقبلاً يدها، وعلى صوته بالنشيج، ف شعر أن سبابتها تتحرك بين يديه، ظن في بادئ الأمر أنه يتوهم ذلك من فرط لهفته على استفاقتها، ولكن حين رفع وجهه ونظر بدقة ليدها تأكد أن ما شعر به صحيحاً وأنها بالفعل تحرك سبابتها ببطء ، انتفض مهلاً صارخاً .. يسرا ، يسرا انتي سمعتيني واستجيتي ليا ، شكراً يا حبيبتى ، وشكراً ليك يارب ، بدأت تحرك باقي أصابع يدها ثم أصابع قدميها ثم جفنيها ، وكلما رآها أحمد تتحرك شيئاً فشيئاً يزداد في شكره لله ولها، ويعلو صوتها أكثر فأكثر حتى وصل صوته إلى مسامع كل من كان ينتظرها خارج غرفة العناية المركزة ، وهرولوا جميعاً إلى داخل الغرفة، وعندما شاهدوها تحرك أطرافها فرحوا جميعاً وشكروا الله على استجابته لدعائهم ، دخل الطبيب والمرضة وطلبوا منهم الخروج من الغرفة وقالوا للطبيب ..

- حمد الله على سلامتها، بس من فضلوا اخرجوا استنوها برة هي لسة تعبانة ومحتاجة تفضل تحت الملاحظة يوم كمان لحد ما نطمئن انها تقدر تخرج من المستشفى .

الشَّرُّ لَهُ نَهَايَةٌ

رقص قلبه بين ضلوعه وزادت دقاته مع دقات رنين هاتفه المحمول حين أضيئت شاشته باسم ماري  
 "حب عمره" مثلما يسميها على الهاتف، رد مثلها ..

- ماري، أخيرا يا حبيبتي ، أنتي فين يا قلبي؟ انا محتاجك ومش عارف الأليكي

ولكن بهجته باتصالها به انتهت عند هذا الحد، وتبدلت بصفعة قوية و بصدمة مروعة قطعت فؤاده بمجرد  
 أن ردت عليه ماري..

- اهلاً اهلاً أستاذ حسام، مش الأستاذ برضو اسمه الحقيقي حسام عبد الرحمن محمد السيد؟

عقدت الصدمة لسانه ولم يستطع أن يتفوه بكلمة واحدة ، ثم أردفت ماري ..

- ايه؟ سكت ليه؟ كنت فاكرك انك هاتقدر تخدعني كدة على طول؟! واني مش هاعرف حقيقتك؟  
 ماخبيش عليك هي دخلت عليا وانا صدقتك وانخدعت فيك، لكن ربنا أراد إنه يكشفك قدامي بدري  
 قبل ماتحصل الكارثة واتورط واتجوزك

- ماري، من فضلك اسمعيني

- سمعت كثير منك وصدقتك وحببتك، لكن خلاص كل الحب اللي حبتھولك اتحول لكره وغل  
 وانتقام، بس وعد مني مش هاسيبك إلا لما اخد حقي منك

- إديني فرصة اشرحك وادافع عن نفسي

- ابقى دافع عن نفسك قدام القاضي لما يسألك عملت كدة ليه في بنات الناس، كل سيديھاتك القذرة  
 معايا والبطايق المزورة وشهادة مستشفى العباسية، فاكرك مستشفى العباسية يا حسام بيه ؟  
 - انتي بتقولي ايه؟

- بقول إني عرفت عنك كل حاجة ، عرفت تاريخك الأسود وعلاقاتك المشبوهة بالستات المتجوزين  
 ، للدرجادي إنت إنسان قذر ومعدكش ضمير؟! بتضحك على الستات وتعمل معاھم علاقات  
 جنسية وكمان بتصورھم وھما معاك في السرير ! دة ايه القرف دة يابن سيادة النايبة المحترمة

اتجه مسرعاً إلى خزنة نقوده والتي كان يحتفظ فيها بأوراقه السرية، وفتحها فوجدها خالية تماماً إلا من

- انتي، انتي وصلتي للأوراق اللي معاكي دي ازاي؟
- هودة كل اللي هامك؟ وصلت للأوراق ازاي؟ ومش هامك اني عرفتك على حقيقتك؟ بكرة الصبح ورقك واسطواناتك هايكونوا على مكتب وكيل النيابة ، يلا بقى سلام كفاية عليك الدقايق دول وفوقهم الشهور اللي عدت من عمري معاك .

وبينما كانت تهم بإغلاق الخط عاجلها حسام ..

- كلمة اخيرة ياماري من فضلك
- نعم
- انتي عندك حق تكرهيني وتبقي مش طايقة تبصي في خلقتي تاني لكن حتى المحكوم عليه بالاعدام ببسألوه نفسك في ايه قبل مايعدموه، وانا مش طالب منك غير طلب واحد بس هو اني اقابلك لآخر مرة ، واحكيلك كل حاجة ، صدقي والله العظيم انا اتغيرت من يوم ماحببتك وكل مرة كنا بنتقابل فيها كنت ببقى نفسي اقولك على كل حاجة بس كنت خايف لتسيبيني بعد ماتعرفي حقيقتي

- أه فقولت اسكت بقى وما أفواش واخليها على عماها لحد مانتجوز وساعتها ابقى حطيتها قدام الأمر الواقع

- والله العظيم انا خبيت عنك عشان بحبك وخايف اخسرك ودي الحاجة الوحيدة اللي مابكديش عليك فيها، اني بحبك فعلاً، ونفسي تكوني مراتي ونعيش مع بعض طول العمر

صمت قليلا ليعلم ردها لكنها لم تجبه فأردف ..

- على فكرة انا مش هاممني النيابة والا المحكمة ولا السجن ولا حتى الإعدام لانني استاهل كل دة واكثر، لكن انا دلوقتي كل اللي هاممني انتي وبس ياماري ، مش طالب منك غير انك تسامحيني وتنسي اللي فات وتعالني نبتدي مع بعض صفحة جديدة، من فضلك ياماري ماتسيبيني، انتي لو سيبتيني هاموت ، ماري انا .....

أثرت كلمات حسام في ماري وكادت تضعف لولا انها افافت وعادت للهجتها الحادة

- خلاص ماعدش له لزمة الكلام ده، وماتفتكرش إنك هاتقدر تأثر عليا أوتضحك عليا تاني،

انا عمري ما هاسمحك على اللي عملته فيا

- دة ربنا ببسامح ويغفر ، يبقى انتي مستخسرة فيا انك تسامحيني؟!!

- ربنا يسامحنا كلنا، بس انا مش ربنا انا بشر، وانت مهما قلت ومهما عملت مش هاتقدر تنسيني انك خدعتني، مش هاتقدر تعوضني عن مشاعري اللي اديتها لك حتى لو فضلت تكفر عن غلطتك دي طول العمر

تناول مسدسه من خزنته وجذب الزناد وسحب طلقة وقال لها مهدداً ..

- لو ماسامحتنيش ياماري انا هاضرب نفسي بالرصاص حالاً

وبرغم انها سمعت صوت جذب زناد المسدس إلا أنها لم تصدق تهديده فقالت ..

- ولو، مهما حاولت تأثر عليا وتخليني ارجع عن موقفي مش هاسامحك ومش هارجعك

- كدة ياماري؟ يبقى ذنبي في رقبتك ، وابقى افتكري اني حبيبتك واني اتغيرت عشانك واني مت برضو عشانك .

ثم سمعت ماري صوت طلق ناري، فزعت، وظلت تصرخ باسمه غير مصدقة أنه فعلها ونفذ تهديده ..

- مينا، حسام رد عليا من فضلك ، انا عارفة انك بتهددني وانك مش هاتقتل نفسك فعلاً .

ولما لم يأتها رد هرولت مسرعةً إلى شقته ، فتحت الباب وجالت ببصرها سريعاً في الصالة فلم تجده ، إتجهت إلى غرفة نومه، صعقت وحظت عيناها حين وجدته ملقى على الأرض مضرجاً بدمائه، والمسدس ملقى بجواره، صرخت من هول الصدمة، اندفعت ناحيته وجثت على ركبتيها وجسّت رقبته فوجدت نبضه متوقفاً تماماً، فأدركت أنه فارق الحياة، نهضت وتراجعت للخلف بظهرها خطوتين بطيئتين وهي تصرخ ..

- لا لا لا مش ممكن ، مش معقول ، انا اللي قتلته ، انا السبب ، انا اللي قتلته

عادت إلى بيتها وجسدها كله بيتنفض، وكل ما كانت تتطق به هو .. انا السبب انا اللي قتلته ، فجعت امها من منظرها فاحتضنتها مستفسرة ..

- مين اللي قتلته ياماري؟ في ايه يا حبيبتني؟ مالك؟ وجسمك كله بيتنفض كدة ليه؟ حصل ايه ؟

وبينما تحاول أمها تهدئتها سقطت ماري على الأرض فاقدة الوعي ، فصرخت امها وطلبت ابنها تستنجد به ..

- الحقني ياسامح اخنك بتضيع مني هات معاك الدكتور شوقي وتعال بسرعة

أتى اخوها مسرعاً ومعه الطبيب، وسأل أمه قَلْباً ..

- في ايه ياماما؟ ماري حصلها ايه؟

- معرفش يابني كانت في اوضتها وفجأة خرجت بتجري ندهت عليها مارديتش عليا وبعد شوية رجعت وجسمها بيتنفض ووقعت مني على الأرض

حملها أخوها والطبيب ووضعها على السرير في غرفتها ، كشف عليها الطبيب وعمل لها الاسعافات الأولية حتى نجح في إفاقتها ، وحين استفاقت عادت لرعشتها والدموع تنهمر من عينيها ، فقال الطبيب قائلاً ..

- واضح إنها اتعرضت لصدمة عصبية شديدة وهاتحتاج للراحة والعلاج ، الحقن اللي اديتهاها دي حقن مهدئة للاعصاب، هي محتاجة تنتقل للمستشفى وتقعدها هناك لحد ماتخف يعني مش اقل من اربع ايام لأسبوع .
- هي حالتها خطيرة للدرجادي يادكتور؟
- والله ده يرجع لقوة احتمالها واعصابها يااستاذ سامح
- طيب ممكن نعالجها هنا في البيت بدل المستشفى ؟ حضرتك شايف ماما ست كبيرة وصحتها على قدها دي مابتقدرش تخرج من البيت بسبب وجع رجليها، فلو ممكن حضرتك تبعتلنا ممرضة تقعد معاها هنا في البيت لحد ماتخف يكون أفضل .
- خلاص مفيش مانع، انا هابعملها ممرضة شاطرة هاتأخذ بالها منها لحد ما تقوم بالسلامة إن شاء الله

ظلت ماري على هذه الحال مدة أسبوع كامل ، تستيقظ من نومها فزعة وتظل تصرخ ولا تهدأ حتى تعطيتها الممرضة الحقنة المهدئة تغط بعدها في النوم لعدة ساعات، أما النوعين الآخرين من الدواء فكانت تضعهما لها الممرضة مع الجلوكوز والمحاليل الطبية المعلقة في ذراعها ، وبعد ما مر الأسبوع استعادت ماري هدوءها ولكن هزلت وفقدت القليل من وزنها ، أول شيء طلبته من والدتها هو اعطاؤها ماءً لتشرب ، ناولتها امها كوب الماء ارتشفت منه رشفة واحدة بللت بها شفيتها وحلقها الجافين، قَبَلَتْها أمها قائلةً ..

- حمدالله على سلامتكم يا حبيبيتي، كدة برضو تفلقيني عليك يامرمر ؟ إيه اللي حصل يابنتي خلاكي انهرتي بالشكل ده ؟

استندت ماري على مرفقيها محاولة الإعتدال في جلستها ثم أسندت ظهرها على ظهر السرير

- من فضلك يمامي ناوليني موبايلى من شنطتي
- حاضر يا حبيبيتي

اتجهت أمها إلى الكومودينو بجوار السرير من الناحية المقابلة، وفتحت حقيبة ماري وأخرجت منها هاتفها المحمول وناولتها إياه قائلةً ..

- انا قفلتهولك من يوم اللي حصلك عشان محدش يتصل بيكي، ماكونتيش هاتعرفي تردي على حد وانتي في الحالة دي، وكمان الدكتور قال إنك لازم ترتاحي ونبعدك عن أي إزعاج .

تناولت منها ماري الهاتف وضغطت زر الفتح وأعدت تشغيله ونظرت في شاشته للتأكد من أن بطاريته لم تفرغ من الشحن، وقامت بإيصاله بكابل الشحن لاستكمال شحنه الذي أوشك على النفاد، أرادت بعدها أن

تتأكد من أن ما مرت به في الفترة الأخيرة كان مجرد كابوس، وأن خطيبتها لم ينتحر، وأنها لم تتسبب في انتحاره ، فبدأت في البحث على المواقع الإخبارية الإلكترونية لتجد أن ثمة خبر منذ أسبوع يقول ..

"انتحار شاب في منتصف الثلاثينيات في شقته في ظروف غامضة" و مرفق مع الخبر صورة الشاب مجهول الهوية ، ثم خبر أحدث منه يقول " الكشف عن هوية الشاب المنتحر في شقته بالزمالك والذي تبين أنه ابن عضوة مجلس الشعب السابقة السيدة نجاح عارف عبدالباري" فتأكدت أنه قد انتحر بالفعل، شعرت بغصة في قلبها، وعاد إلى ذاكرتها مشهؤ هو ملقي على الأرض في غرفته بشقته والدم يسيل بغزاره من رأسه ومسده بجواره، فغابت بعينيها نظرة في الفراغ ، لاحظت أمها شرودها فسألتها ..

- ماري، ماري

انتبهت ماري لنداء أمها فاجابتها ذاهلةً ..

- هه؟

- مالك يا حبيتي؟ سرحتي في إيه؟

- بصي كدة بامامي

فقربت ماري هاتفها إلى ناظري أمها مشيرةً إلى صورة الشاب المنتحر وأردفت ..

- شايبة الخبر دة بيقول إيه؟

- بيقول إيه؟ انتي عارفة اني مابشوفش الكتابة على الموبايل من غير النظارة بس انا شايبة صورة

شاب واقع على الأرض غرقان في دمه ، ياساتر يارب ، مين الشاب دة ؟

- مش هاتصدقني مين الشاب دة

- حد نعرفه؟

- استعدي للمفاجأة اللي مش سعيدة يامامي ، الشاب اللي انتي شايباه غرقان في دمه دة مات منتحر،

دة يبقى مينا يامامي .

خبطت الأم على صدرها، وصاحت ..

- يا مصيبيتي، مينا خطيبك؟!!

- ايوة يامامي ، مينا خطيبتي، واللي طلعت ماسموش مينا أصلاً ودة اللي انا كنت مخيباه عنك الفترة

اللي عدت، ولما سألتيني قولتك هاقولك كل حاجة بس في وقتها، واهو جيه وقتها عشان تعرفي

كل حاجة .

- اعرف ايه يابنتي ؟ ماتفهميني ، مينا انتحر ليه؟ ويعني ايه مينا ماطلعش اسمه مينا؟ انا مش فاهمة

حاجة خالص .

- مينا اللي انا كنت مخطوباله اسمه الحقيقي حسام عبدالرحمن محمد السيد

- ايه؟ يعني ايه الكلام دة ؟

- يعني انا كنت مخطوبة لواحد نصاب ومزور ، انتحل شخصية شخص مسيحي عشان يتجوزني

- لا لا انا مش مستوعبة الكلام اللي بتقوليه دة ، أكيد في حاجة غلط
- لا ياماما كلامي مافيهوش حاجة غلط، للأسف، كل اللي بقولهولك صحيح، انا اتأكدت بنفسي
- يانهار اسود يعني انتي دلوقتي مخطوبة لواحد اسمه حسام معرفش مين دة
- كنت يامامي، كنت، الله يرحمه بقى، مش انتي لسة شايفة صورته وهو ميت !
- طيب هو انتحر ليه؟
- عشان عرف اني كشفته وانا واجهته بدة ولما طلب مني اسامحه وانا مارضيتش وقولتله اني هابلغ عنه البوليس والنيابة انتحر
- معقولة ! انا مش قادرة اصدق اللي بسمعه منك دة
- لا صدقي يامامي لأن هي دي الحقيقة المرة
- عشان كدة كنتي بتقولي انا السبب انا اللي موته ؟
- ايوة ، انا السبب في موته وعمرى ما هاسامح نفسي ، مين انا يامامي عشان ماسامحش إنسان غلط وحس بندمه ، مين فينا مابيلغطش ؟ ازاي اتسبب في موت انسان بالشكل الفطيع دة ؟
- وضعت ماري وجهها بين كفيها وعلا صوتها بالبكاء ، فاحتضنتها أمها وربنت على ظهرها
- اهدي يا حبيبتي، اهدي، ماتعمليش في نفسك كدة، صحيح انتي غلطتيانك اتصرفتي لوحدك من غير ماترجعلي ولا تعرفيني انا واخوكي الحقيقة اللي وصلتلها، لو كنتي عرفتينا من الأول اكيد كنا اتصرفنا بطريقة أفضل من كدة، وكنا حلينا المشكلة بهدوء، ومكانش انتحر بسببك، لكن خلاص اللي حصل حصل، انسي الي فات وهو الله يرحمه ويسامحه ، انا لحد دلوقتي مش قادرة استوعب إنه ضحك علينا كلنا وفهمنا انه مسيحي عشان نوافق على جوازك منه لأ وكمان ينتحر عشان مارضيتش تسامحيه، في حد عاقل يعمل كدة ؟ دة أكيد مجنون .
- هو فعلاً مريض عقلي وكان بيتعالج في مستشفى العباسية من خمس سنين
- كمان! لا دانتي تحمدي ربنا انه خلصك منه، بس ولا كان باين عليه انه مش طبيعي ابدأ، دي أكثر حاجة عجبتنا فيه لما جيه يتقدمك إنه شاب موزون وعاقل ، ازاي يطلع مجنون؟ وازاي مكانش باين عليه ؟!
- ماهو زي ماقولتلك انه اتعالج من زمان، يعني المفروض إنه بقى طبيعي وعاقل
- ودي برضو تصرفات ناس عاقلين ؟ عموماً الله يرحمه ، وانتي فوقى لنفسك كدة وانسي كل اللي حصلك ، وان شاء الله بكرة ربنا يعوضك عنه بشاب عاقل وابن ناس يحبك ويتجوزك ويصونك بجد
- تفكري انا بقى فيا روح ولا قلب احب تاني ! ولا بقى عندي أصلاً استعداد للجواز ! خبطتين في الراس توجع .
- يا حبيبتي انتي لسة صغيرة وقلبك لسة أخضر مايعرفش غير الحب ، واللي حصلك دة تجربة ربنا سمح بيها عشان يعلمك درس ماتنسيهوش طول عمرك ويعلمنا احنا كمان ماتنسر عش في الحكم على الناس ونسأل كويس عن اي شاب هابتقدمك بعد كدة
- نظرت ماري إلى أمها متتهدة مكتفية بهز رأسها بالإيجاب ، فأردفت أمها ..

- يلا قومي خدي حمام سخن على مادخل اعملك لقمة كويسة تتقوتي بيها انتي بقالك اسبوع عايشة على المحاليل والأدوية
  - حاضر يمامي، اتفضلي انتي وانا هاخرج وراكي على طول
- خرجت أم ماري من غرفتها تتمم بعبارات استنكارية مثل ..
- معقولة اللي حصل دة؟ والله الواحد مش مصدق، الدنيا ياما فيها بلاوي، واللي يعيش ياما يشوف، سترك يارب .

أما ماري فقد عادت وأسندت رأسها إلي ظهر السرير، تجتر ذكرياتها مع مينا منذ أن رأته أول مرة في الشارع مروراً بكل تفاصيل قصة حبهما الجميلة، بما فيها يوم خطبتهما ودخولهما الكنيسة متأبطة ذراعه في سعادة، لم تكن تعلم أن تلك السعادة عمرها قصير كصاحبها ، كم أحبته وتمنت لو أنها عاشت معه في سعادة حقيقية طويلة حياتها وأن سعادتها معه ليست وهماً أو سعادة مؤقتة ، كم تمننت أن مامرت به من أحداث مؤلمة خلال الأيام الماضية كابوساً ، كم تمننت أن يكون مينا هو مينا وليس حسام ، مينا الذي أحبته ، وليس حسام الذي خدعها ، نعم أحبته ، أحبته ولكنها لم تستطع أن تغفر له خديعته .

**قد تغفر المرأة للرجل الذي تحبه خيانتته، لكنها أبداً لا يمكنها أن تغفر خداعه لها !.**

النهايات قد تكون أفضل من البدايات أحياناً

في منتصف شهر يونيو أي بعد مرور شهرين ونصف على حادث انتحار حسام، عاد الهدوء إلى حياة كل من النساء الثلاث ، حنان تعلمت الدرس واستوعبته جيداً، أدركت أخيراً أن الأبقى لها في النهاية هو زوجها وابنها، وأن الحب الحقيقي ليس مجرد كلام معسول من رجل يتغزل في جمال جسدها وسحر عينيها وحلاوة شفيتها بل إن الحب أعمق وأعظم من تلك المظاهر الخداعة، أيقنت أن زوجها هو أكثر شخص يحبها ، بل إنه هو الرجل الوحيد الذي يحبها لذاتها ، أدرك هو أيضا أن الحياة الزوجية ليست عملاً شاقاً أو مجرد توفير للاحتياجات المادية من مأكّل ومشرب وملبس؛ بل إن المرأة تحتاج إلى الأهم من ذلك، فالمرأة كائن رقيق حساس تسعده التفاصيل الصغيرة؛ ككلمة أحبك التي لا تكتفي منها، وكلمة وحشتيني أو اشتقت لك، كلمة كل عام وأنت بخير يوم عيد ميلها أو يوم ذكرى زواجهما، فالهدايا أيضاً كلمات . خصص مجدي يوماً في الأسبوع لها ولاينهما فقط، لا يعمل فيه أو ينشغل عنهما بأي شيء اخر فاليوم يوم الأسرة يخرجون للتنزه وأحيانا لتناول وجبة الغداء في أحد المطاعم، أو حتى الجلوس في البيت ومشاهدة فيلم رومانسي يعيدهما لذكرى فترة خطبتهما وأول أيام زواجهما، أي أنه تعلم جيداً كيف يسعدها ويسعد معها ، بأقل جهد استطاع أن يشعر زوجته بالدفء الأسري الذي طالما افتقدته ، جعلها تشعر بأنوثتها وكيونتها، وأحبت نفسها معه وبه أكثر من ذي قبل، فاجأته ذات يوم برغبتها في الانجاب للمرة الثانية، وأنها تريد أن تنجب بنتاً هذه المرة، وبرغبتها في تسميتها "سمر" ضحك مجدي لتأثرها بالدراما التركية في تسمية أطفالهما وأعرب لها هو أيضا عن مشاركتها في نفس الرغبة وخاصةً وأن مهند أو شك على إتمام عامه الخامس وأنه يحتاج إلى أخت ليلهو معها .

أما يسرا فاستعادت عافيتها ليست الجسدية فقط وإنما النفسية أيضا، وخاصةً بعد عودة زوجها من الخارج واستقراره بجوارها في وطنه، وهو ماكانت تحتاجه بالضبط، ربما كان لحادث السير الذي تعرضت له عظيم الأثر والفضل في لم شملهما من جديد، "وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم" ، شيئاً آخر وحدث جلل جعلها تشعر بكيونتها وبأهمية وجودها في الحياة وبأنها لم تخلق لتكون امرأة وزوجة فقط ولكن لتكون أمّاً أيضا، حيث بدأت تنمو في أحشائها نطفة صغيرة حركت معها غريزة الأمومة ، أرسل الله لها روحاً تعلقت بها روحها وجسداً يتغذى من جسدها وقلباً ينبض بجوار قلبها يدغدغ مشاعرهما ويزرع بداخلها الاحساس بالمسؤولية حين تنضج وتخرج من أحشائها إنسانا كاملاً تجتمع فيه مزيج من الصفات بينها وبين زوجها الذي تحبه، وشكرت الله على هذه الهدية الرائعة التي أرسلها لها من السماء، أحمد أيضا لم يصدق أذنيه حين

زَف إليه الطبيب خبر حمل يسرا زوجته وأنها في بداية الشهر الثاني، وأن حملها مستقر، وأن موعد ولادتها سيكون في أول شهر يناير للعام القادم أي بعد ثمانية أشهر من الآن، شعر هو أيضاً بالمسؤولية، وعاهد الله ثم زوجته أن يرهاها هي وطفلها القادم أفضل رعاية، وأن يمنحهما كل الحب والاهتمام، وأنه لن يتركهما ولن يبتعد عنهما أبداً .

أما ماري والتي كانت لاتزال تشعر بعقدة الذنب تجاه حسام شاعرةً أنها هي السبب في انتحاره فأرادت أن تتخلص من ذلك الاحساس المؤرق الذي سيطر عليها أياما وليالي جعل منها كائناً أقرب إلى شبح منه إلى إنسان لا ملامح له ولا جسد، فقد فقدت الكثير من جاذبيتها وأصبحت شاحبة الوجه غائرة العينين نحيفة القَد، تراها فتكاد لا تعرفها، نصحتها أمها بالخروج من المنزل، فقد صار لها شهوور لم ترَ الشارع إلا لِمَأمًا، حتى أنها تركت عملها نهائياً ولم تعد ترغب في العمل بل وفي الحياة، أشارت عليها أمها بزيارة أب اعترافها في الكنيسة والتحدث معه عن كل ما حدث لها في الأشهر الماضية عسى أن يخفف ذلك من وطأة ما تشعر به من ذنب، وبالفعلاستجابت لنصيحة أمها وذهبت الى كنيسة السيدة العذراء بحلمية الزيتون والتي تحرص على حضور صلاة قداس يوم الأحد فيها منذ صغرها، وهي نفس الكنيسة التي عُقد فيها حفل خطبتها على مينا، والتي قد انقطعت عن المجيء إليها والصلاة فيها منذ ما حدث، حين ولجت الباب الداخلي للكنيسة تسمرت في مكانها وتوقفت عن السير خلال الممر في منتصف صحن الكنيسة والمؤدي الى مذبح السيدة العذراء والذي وقفت يوماً ما أمامه بجوار مينا في سعادة تجيب الكاهن في خجل ب "نعم" عن سؤاله موافقتها على خطبته، تمننت لو أنها قالت لا، لو أنها لم تقابله من الأساس، لكن ليس كل ما يتنماه المرء يدركه، وبرغم من ارتفاع درجة حرارة شمس يونية إلا أنها شعرت بقشعريرة تنسلل إلى جسدها فور تذكر كل التفاصيل والتي بدأت تهجم على مخيلتها بسرعة البرق كما لو كان كل ما حدث لها قد حدث بالأمس، حين رأت شماسا يدق بالدقوف وآخر يضرب بالترينتو مرنمين مسبحين، ذكّرهما هذا المشهد المهيب بالمشهد الذي يشبهه إلى حد كبير مشهد يوم خطبتها، لم تتمالك نفسها ولم تقو على تحمل المزيد من الذكريات المؤلمة التي جعلت قلبها يغوص في أعماق أحشائها، لم تشعر بنفسها إلا وهي مولية ظهرها للمذبح راکضة خارج باب الكنيسة الداخلي إلى فناء الكنيسة الفسيح، واتخذت من أحد أركانها جلسة لها، وانفجرت في البكاء واضعة يدها على أذنيها محاولة صمها عن سماع المزيد من الأصوات التي تلكز جرحاً بداخلها لا يريد أن يندمل، ظلت على هذا الحال قرابة ساعتين حتى انتهاء طقوس القداس وخروج الكاهن والشمامسة وكل المصلين، لمحها الكاهن عند خروجه من باب الكنيسة وهي مكومة بجوار الحائط على المصطبة الرخامية فاتجه نحوها ليعرف من هي ولماذا تجلس هكذا..

- صباح الخير يابنتي

حين سمعت ماري صوته عرفته فرفعت هامتها والدموع تغرق وجهها، ونهضت ترد التحية ..

- صباح الخير يا بونا

هال الكاهن ما رأى ماري عليه، فهو لم يعنّد رؤيتها بهذه الهيئة المرعبة فسألها ..

- ماري! إيه يابنتي مالك؟ ايه اللي حصل لك؟ وبقالك فتره مش بتيجي الكنيسة ليه؟ وإيه أخبار خطيبك؟

أراد الكاهن ان يعرف عنها كل شيء مرة واحدة لانشغاله عليها كل الفترة الماضية، والتي انقطعت فيها ماري عن الذهاب إلى الكنيسة، وهو الذي لطالما اعتاد أن يراها باستمرار في الكنيسة فتاة مرحة مقبلة على الحياة ، مع التزامها الشديد بحضور القداسات والصلوات، حتى في محنتها الأولى وحادث السير الذي تعرضت له قديماً والذي أجلسها على كرسي متحرك شهوراً طويلاً لم يفقدها إيمانها بالله ولم يغير من هينتها مثلما يراها الآن، فأجابته بصوت مبوح ..

- هاحكي لقدسك على كل حاجه ياابونا، أنا اصلاً جاية عشان أقعد معاك واحكيك  
- طبعاً يابنتي اتفضلي معايا جوه الكنيسة

في الكنيسة وفي جلسة الاعتراف أخبرت أب اعترافها بكل ما مرت به منذ يوم خطوبتها على مينا وحتى حادث انتحاره بسببها، وبعد أن استفاق الكاهن من هول الصدمة بدأ يبيت فيها بعض الكلمات المعزية كالتي يقولها الأب الروحي لابنه او ابنته في تلك الظروف مثل: إن كل ما حدث لها هو بسماح من الرب، وإن الله لا يسمح بمرور الإنسان بتجربة صعبة إلا ليعلمه درساً ينفعه طيلة حياته، وأيضاً يعطي الله التجربة بقدر احتمالها، ويمنحنا التعزية الكافية للخروج من تلك التجربة بسلام، استطاع أب اعتراف ماري أن يحتويها بتلك الكلمات القليلة في عددها والعميقة في مضمونها، استطاع الأب أن يشجعها على الخروج من تلك الأزمة والعودة لحياتها الطبيعية ، واقترح عليها اقتراحاً جميلاً راق لها، وهو الانغماس في الخدمة الكنسية لأن خدمة الله متمثلة في خدمة عباده هي الشيء الوحيد الذي سينسيها كل ما فات، لأن فضيلة العطاء هي من أعظم الفضائل التي لو تحلى بها الإنسان لمس مردودها الرائع في حياته وفي أسرع وقت، حين انتهت جلسة الاعتراف تلك التي خرجت منها مرتاحة النفس وكأنها اغتسلت من كل همومها الماضية وخلعت عنها رداء الكآبة والحزن ولبست بدلاً عنهما لباس السكينة والسلام الداخلي ، وعند خروجها من باب الكنيسة صادفت شخصاً تعرفه، وتعجبت من رؤيته في هذا المكان ..

- دكتور يوسف؟! معقولة! ما كنتش متوقعة اني اشوفك تاني، انت بتصلي في الكنيسة هنا؟  
- ثم مدت له يدها مصافحةً فمد هو لها يده مستغرباً رؤيتها هو أيضاً ..  
- مودمازيل ماري! إزيك، لا في الحقيقة انا مش دايماً بصلي هنا، أناعادةً بصلي في كنيسة الملاك ميخائيل، لكن أب اعترافي هنا وانا بجيله من وقت للتاني ، أبونا بيشوي أكيد تعرفيه  
- معقول ! إيه الصدفة الغريبة دي؟ أنا برضو أب اعترافي أبونا بيشوي، ولسة كنت معاه حالاً .  
- تبقى مش صدفة بقي ده أكيد ربنا عايز يقول لنا حاجة

تعجبت ماري ..

- تقصد إيه؟

- بصي ياماري، أنا في الحقيقة عايز أكلّمك في موضوع بقالي فتره لكن الوقت والظروف مكانوش مناسبين، بس لما شوفتك دلوقتي حسيت إن ربنا بعثني النهاردة بالذات عشان أشوفك وأقدر أتكلّم معاكي بصراحة في الموضوع اللي اترددت كثير إنّي أكلّمك فيه .

- خير؟ موضوع إيه؟

- ماري انا من أول مرة شفّتك فيها وأنا معجب بيكي، وسألّت كثير عنك وعرفت إنك بنت مهذبه ومتدينه وطيبه وبنت ناس، وحتى بعد ما عرفت منك الظروف اللي مريتي بيهاده ما غيرش فكرتي عنك أو قلل من إعجابي بيكي، بالعكس، يمكن ده اللي خلاني اتمسك بيكي أكثر، لأن البنّت اللي تتحمل كل اللي جرالها دهوتخرج من أزمتها بنفس قوتها تبقى بنت جدعه وتقدر تقف معايا في وش الدنيا وأتطمّن وهي في حياتي .

ردت ماري بسخرية ..

- قويه ! بيتهيالك

- لأ قويه ، أنا متأكد من ده جداً، اللي مريتي بيه ماكانش سهل، وصعب على أي بنت إنها تتحمّله، لكن أنا واثق إنك هاتخطيه بسرعه، وهاتفدي ترجعي بنفس قوتك.

- شكراً يادكتور على كلامك المشجع ده، عموماً أنا خلاص شلت فكرة الجواز دي من دماغي نهائياً، ومن هنا ورايح هاكس حياتي لخدمة ربنا والناس وبس .

- جميل طبعاً إنك تخدمي ربنا والناس، لكن ده مش معناه إنك تنسي نفسك وحياتك، عموماً أنا مش مستعجل على ردك، خدي وقتك في التفكير، وأنا مستني، ومش هازهق من الانتظار .

مضت ماري في طريقها متعهدة أن تتناسى كل ما مرت به في حياتها من آلام، متخذة قرارها بأن تبدأ حياة جديدة متمنية من الله أن تكون حياة خالية من الأوجاع .

**تمت**